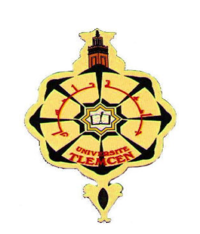






الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان -

قسم اللغة والأدب العربي

الملحقة الجامعية مغنية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر.

التخصص:دراسات أدبية

العنوان:

فنّ المقالة الأدبيّة عند مصطفى صادق الرافعي

إعداد الطالبة:

حفاف سارة.

المشرف /المقرر:

د.بغداد عبد الرحمان.

اللجنة المناقشة:

1.د.بن مالك سيدي محمد .... رئيسا .

2. أ. زياني سمير. .... مناقشا.

السنة الجامعية 2015-2016



بسم الله الرحمن الرحيم

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

صدق الله العظيم

سورة يوسف الآية رقم { ٧٦ }



الإهـــــــــــــــداء:

-إلى منبعي الحنان والعزيمة .... والـــديّ الـــعزيزين بـــرًّا و امـــتنانًا .

- إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي ...... أخواتي وأخـــي إسماعيل .

-إلى من أرى التفاؤل بعينيه والسعادة في ضحكته ، إلى الوجه المفعم بالبراءة ....ابن أختي (يوسف) .

-إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع .



شكر و عرفان :

أتوجه بالحمد والشكر والعرفان إلى خالق الكون ومبدعه في الأولى والآخرة الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، رب العزة والجلالة .

ومن دواعي العرفان والفضل ووفاءً مني لأهل الفضل والموقف الجميل لا يسعني إلاّ أن أتقدم بالشكر الجميل مع احترامي وامتناني إلى قدوتي ومثلي الأعلى أستاذي الفاضل المشرف على المذكرة الدكتور (بغداد عبد الرحمان) على ما قدمه لي من عون وما بذله معي من جهد وعناء في هذه المذكرة ، إذ أغناها بآرائه الحكيمة الصائبة ، وتوجيهاته السديدة نحو المنهج الدقيق في البحث إلى أن وصلت المذكرة إلى ما وصلت إليه فجزاه الله عني كل خير .

وأتقدم بالشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام لقبولهم مناقشة هذا البحث وتقويمه ، وبيان هفواته ، داعية المولى عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء .

ويسعدني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل أساتذتي في قسم اللغة العربية وآدابها – الملحقة الجامعية مغنية – وبارك الله في علمهم الوافر ووفقهم لما يحبه و يرضاه .

وأتقدم بالشكر والامتنان إلى الأستاذ – سي بشير محمد – لما قدمه لي من مساعدة في تحليل المقالات فلم يبخل علي بوقته رغم انشغالاته فجزاه الله عني كل خير ، وأسجل شكري وامتناني إلى صديقتي هاشمي ربيحة لما قدمته لي من دعم معنوي ومساعدة .

كما أتقدم بوافر شكري و امتناني إلى أهلي الذين كانوا سندًا وعونًا من أجل إتمام هذه المذكرة.



المقدمة

المقدمة:

الحمد لله أحمده سبحانه وتعالى على جزيل عطائه ووافر نعمه حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء المرسلين ، وبعد:

إن موضوع هذا البحث هو فنّ المقالة الأدبية عند مصطفى صادق الرافعي ، حيث تمثل المقالة فنًّا من فنون النثر، يعرض الكاتب فيها قضية معينة أو فكرة ما بأسلوب منظم مشوق.

وقد شهد هذا الفن تطوراً كبيراً على يد عدد من أعلام الأدب في الوطن العربي ، ولهذا خصصنا في هذا البحث بدراسة هذا الفن عند رائدٍ من روادها ، وهو مصطفى صادق الرافعي حيث تجلت فيها عبقريته ، ووصل فيها إلى مكانته العالية في الأدب العربي المعاصر ، فأبدع فيها إبداعاً عجيباً، حيث امتاز بفكره العميق وعباراته الدقيقة وأسلوبه الخاص في الكتابة ، وتفرد مقالاته التي تطرق فيها إلى موضوعات مختلفة، وعلى هذا الأساس عنونت بحثي هذا ب:"فن المقالة الأدبية عند مصطفى صادق الرافعي ".

-وإشكالية هذا البحث من خلال ما سبق ، لا تعدوا أن تكون مجموعة من الأسئلة حول هذا الموضوع لتجليه وتوضيحه ، و هي تتمثل في الأسئلة التالية :

1-ما مفهوم المقالة ، ومن هم أهم روادها ؟

2-فيم تكمن جهود الرافعي في كتابة المقالة ؟ وما هي أنواع المقالة عنده ؟

3- وما هي خصائص المقالة الأدبية عند الرافعي ؟

-وما دفعني لاختيار هذا الموضوع ، كون مصطفى صادق الرافعي كان له أسلوبه ومنهجه الخاص به في الكتابة العربية وذلك يتمثل في نقاء أسلوبه وبلاغته واستقامة ألفاظه ،بحيث تتضح لنا شخصيته واضحة في مقالاته وأدبه بكل خصائصها الروحية والعقلية واللغوية .

-وقد واجهتني صعوبات جمة في هذا البحث إلا أنها كلها قد بيّنت عندي قيمة هذا البحث ، والتي تكمن في قلة الدراسات التي قامت بتحليل مقالات الرافعي مما جعل تحليل مقالاته أمراً صعباً بعض الشيء .

- ولقد طغى في هذا البحث الاعتماد على المقاربة الوصفية ، الذي يتلاءم مع هذا البحث .

- وقد اتبعت في هذا البحث خطة تتألف من مقدمة ومدخل وفصلين ، كل فصل مقسم إلى مبحثين ، وخاتم عامة ملمة بالبحث .

المدخل : قراءة في المقالة الأدبية .

حيث تناولت فيه مفهوم المقالة ونشأتها عند الغرب والعرب ، وأهمّ رواد هذا الفن .

الفصل الأول : جهود الرافعي في كتابة المقالة .

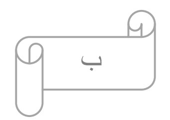
حيث تطرقت في هذا الفصل الحديث عن جهود الرافعي في كتابة المقالة وذلك من خلال مبحثين، الأول جاء الحديث فيه عن الكتابة عند الرافعي ، أما المبحث الثاني فخصصته للحديث عن أنواع المقالة عنده .

الفصل الثاني : دراسة فتية للمقالة الأدبية عند الرافعي – نماذج تحليلية – أما الفصل الثاني فخصصته للدراسة الفنية للمقالة الأدبية عند الرافعي ، حيث قمت في المبحث الأول بتحليل مقالته الموسومة ب " بعد شوقي " ، وفي المبحث الثاني قمت بتحليل مقالة " أمير الشعر في العصر القديم " ،وقمت في كل مقالة باستخراج أهم خصائصه الأسلوبية .

وختمت بحثي هذا بحوصلة لما ورد في ثناياه، ولعل إنجازه كان بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، التي كانت منهلا مهما اغترفت منه المعلومات، ومن بين أهمها أذكر:

-مصطفى نعمان البدري ،الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد .

-مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم .



-محمد يوسف نجم ، فنّ المقالة .

-السيد مرسي أبو ذكري ، المقال و تطوره في الأدب المعاصر .


المدخل:
قراءة في
المقالة الأدبية

1-مفهوم المقالة عند اللغويين و الأدباء ونشأتها :

أ-المفهوم:

إذا وقفنا عند المعاجم اللغوية نجد الفيروز آبادي يذكر في مادة "قال" : " القول الكلام أو كل لفظ مدل به اللسان، و الجمع أقوال و جمع الجمع أقاويل، أو القول في الخير، و القال و القيل في الشر. أو القول مصدر و القول و القال اسمان له. أو قال قولًا و قيلاً و قولة و مقالة و مقالاً فيهما"[1]

في حين جاء في لسان العرب (قال يقول قولاً و قيلاً و قولة و مقالاً و مقالةً) [2] و قال الله تعالى: « وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلى اللهِ»[3]

و المدلول الحسي للفظ المقالة عند القدماء هو القول، على نحو ما نجد في معلقة النابغة «على حين عاتبت المشيب» و هو يعتذر إلى النعمان:

«مَقَالَةُ» أن قَدْ قُلْتَ: سَوْفَ أَنَالُهُ * و ذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ[4]

فالمعنى اللغوي للمقال ينصرف إلي أنها شيء يقال، و بهذا المعنى قال الشّدياق في كتابه: ″و أنّ لغته في ذلك عن الحقّ سبحانه و تعالى، أصدق مقالاً. نعم، أعود فأقول: و إن طال المقول″ [5] كما استُخدم أيضًا لفظ مقالة بمعنى بحث في مسألة أو مذهب من المذاهب الدّينيّة. إذ يقسم الكتاب إلى (مقالات)، كلّ واحدة منها تعالج بحثاً دينيًّا أو فلسفيًّا أو علميًّا[6] و قد استخدمها «أبو الحسن الأشعري» في كتابه(مقالات الإسلاميين) بمعنى المذهب، و بهذا المعنى نفسه استخدمها (أبو حيان التوحيدي)في وصفه "الصاحب بن عباد" بقوله: "إن الرجال كثير المحفوظ،

---

[1]–الفيروز آبادي، القاموس المحيط. دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009، ص1104.

[2]–ابن منظور:″لسان العرب″ م12، مادة: ق.و.ل تحقيق عامر أحمد حيدر، دار صادر، بيروت، ط3، 2004. ص221.

[3]–من الآية 33 من سورة فصلت.

[4]–ديوان النابغة الذبياني، تحقيق و شرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ط.د.ت، ص80.

[5]–وفاء يوسف إبراهيم زبادي. الأجناس الأدبية في كتاب (الساق على الساق في ما هو الفرياق) لأحمد فارس الشدياق، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص227.

[6]–شرف عبد العزيز، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة. دار الجيل بيروت 2000.ص19.

حاضر الجواب، فصيح اللسان........و بتشيع لمذهب أبي حنيفة و مقالة الزيدية"[1]و من هنا نرى أنّ لفظة "مقالة " لم يستخدمها القدماء في المعنى الذي تستخدم فيه اليوم.

أما اصطلاحاً، تُعد المقالة نوعًا فكريًا تشكل الأحداث، و الظواهر، و التطورات موضوعه. و يتميز بمعالجة الموضوعات العامة و الآنية بقدر من الشمولية و العمق، مستخدمًا أسلوب العرض و التحليل و الاستنتاج. هادفاً إلي تقديم رؤية فكرية لهذه الأحداث، و الظواهر ،و التطورات[2]

تُعرف المقالة بأنها:"قطعة مؤلفة متوسطة الطول. و تكون عادة منثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة و الاستطراد و تعالج موضوعًا من الموضوعات، و لكنها تعالجه على وجه الخصوص من ناحية تأثر الكاتب به"[3] و المقصود بالسهولة و الاستطراد أنّ دورَ كاتب المقال لا يعدو عن تسجيل تأمّلاتٍ، أو تعبير عن تصوّراتٍ، أو توصيف لمشاهداتٍ تغلب عليها العفويّةُ و السرعة، تختلف عن المعالجة المتأنّية التي تُجمع فيها الحقائق و تُصنّف بالاعتماد على تقنيات البحث العلمي كالإحصاء و التّجربة و المتابعة، و المقصود بالنّاحية التي تمس الكاتب تعبير المقال عن ذات الكاتب أكثر من تعبيره عن موضوعه الذي يتضمنّه لأنّ الكاتب يرى الأشياء من خلال ذاته التي لا تخلو من مشاعر و انفعالاتٍ[4] و يعرفها "أحمد أمين" في كتابه «النقد الأدبي» بقوله: "أمّا المقالة (ESSEY) فمن أهم صور النثر الأدبي و أمتعها، و هي إنشاء نثري قصير كامل يتناول موضوعًا واحداً غالباً ما كتبت بطريقة لا تخضع لنظام معين، بل تكتب حسب هوى الكاتب، و لدلك تسمح لشخصيته بالظهور. و المقالة النموذجية تكون قصيرة، و لكن القصر ليس صفة ضرورية، فقد تكون المقالة طويلة و السر الأعظم فيها هي أنها لا تخضع لنظام كما قلنا أو صورة محدودة في كتابتها بل تتبع هوى الكاتب و ذوقه "[5] و بذلك فالمقالة الأدبية مادتها المعرفة و هي

---

[1]–ربيعي عبد الخالق، فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، ص14

[2]–جمال الجاسم المحمود، فن المقالة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية، المجلد 24 العدد الأول. 2008. ص 445.

[3]– رسالة ماجستير ل:فضيلة مادي، دور عالمية الأدب و مذاهبه في تطور الأدب و ظهور أجناسه الأدبية، المركز الجامعي العقيد آكلي محمد أولحاج. البويرة، 2012، ص 86.

[4]–أحلام بالولي، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، 2014، ص 23.

[5]–أحمد أمين، النقد الأدبي، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ج1، 1952. ص 99.

نسيج فني يستمد عناصره من القصة أو الشعر أو المسرحية، ففيها نرى الشخصية مرسومة من داخل أو من خارج، و فيها[1]يعالج الكاتب أفكاره محاوراً أو واصفاً أو محللاً للنفسيات[2].

نستنتج مما سبق أن المقالة لها أسلوبها ولغتها وخصائصها الخاصة بها التي تميزها عن غيرها من فنون النثر، حيث تعالج موضوعات مختلفة ولكن وفق رؤية الكاتب لها.

ب- النشأة:

1- عند الغرب:

إنّ المقال نوع نثري فرنسي النشأة، إذْ يعتبر الكاتب الفرنسي "ميشال مونتين" "Michel Montaigne" أول من كتب مقالاً حديثاً[3] فسجّل له التاريخ فضل الريادة في (شكل المقالة أو فنّها، خلال السنوات (1574 – 1580م) حين شعر بالحاجة إلى تجاوز القوالب القديمة وأقوالها المأثورة، فانتقل إلى مرحلة جديدة قوامها التأمّل العميق في الموضوعات الخلقية والنّفسية، إلاّ أنّه لم يتنازل عن الأمثال وجوامع الكلم مرّة واحدة، بل أخذ يختار منها ما كان صالحا للتّضمين في كتاباته، ولجمع شتات أفكاره، ثم يرصّع بعض الصّور والحوادث التي استمدّها من ملاحظاته الخاصّة وتجاربه الشّخصية ونشرت تجربته بعنوان (محاولات) أسهم في التأصيل لهذا الفن الأدبي الفكري، بما يتميز به من فضاء الحرية، وتدفق في المشاعر التي لا تقف عند حدود، ولا تصدها قيود، حتى باتت شهرة الرجل تملأ أوربا[4] وبعدها تُرجم هذا النوع إلى الإنجليزية، فكان من أبرز كتّاب المقال الإنجليز "فرنسيس باكون"Francis Bacon" متأثراً في بداياته بـ "مونتين" حيث عنون كتابه بـ "ESSAIS" ثم طوّر كتاباته وأعطاها بصمته الشخصية. وبعدها راج هذا النوع الأدبي وشغل صفحات الجرائد والمجلات، وأبدع فيه كتّاب مشهورون في القرن الثامن عشر نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: "دانييل ديفو" "Daniel Defoe"، جوناثان سويفت" "Jonathan Swift". أوليفر جولد سميت" "Oliver Gold Smith".

و في القرن التاسع عشر، برع فيها "شارل لامب" "Charles Lamp" و "وليم هازليت"

[1]–عبد العاطي شلبي، فنون الأدب المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005، ص ، 56و57.

[2]– المرجع نفسه، ص 57.

[3]– فضيلة مادي، دور عالمية الأدب ومذاهبه في تطور الأدب وظهور أجناسه الأدبية، ص 87.

[4]– عمر بن قينة، الأدب العربي الحديث، شركة دار الأمة، الجزائر،ط1، 1999، ص207.

"William Hazlat". ومع بداية القرن العشرين تأثر المقال بأمرين هما: الميل إلى النزعة العلمية ورواج الأقصوصة.[1]

هذا عن نشأة المقالة عند الغرب بمفهومها الحديث ولكن، وماذا عن نشأتها عند العرب القدماء وكيف تطورت على أيدي كتابها إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن؟

2- عند العرب:

إنّ الكثير من الباحث العرب يُرجعون نشأة المقالة إلى أدب في عصوره الأولى حيث تلك الفصول التي حفل بها أدبنا العربي واعتمدت في أسلوبها على المباشرة في التعبير عن الرؤية الذاتية للكاتب والإفصاح عن مزاجه الخاص،ويعدونها بذوراً للمقالة في مفهومها الحديث ، ويرون في الرسائل الإخوانية و الأخلاقية وما تدور عليه من تصوير ومسامرة و تفكه وعتاب ونصح ، ويعدونها – في بعض صورها – نماذج جيدة لبعض أنواع المقالة[2].

ومن هؤلاء الباحثين محمد يوسف نجم في قوله:" وإذا تصفحنا كتب الأدب ومصادر التاريخ وجدنا أمثلة كثيرة تدعم هذا الرأي الذي نذهب إليه، فصفة الإمام العادل للحسن البصري: مثل جيد على المقالة الأخلاقية"[3].

ورسالة عبد الحميد إلى الكتّاب، التي تضع دستوراً للكتابة الديوانية ولأخلاق الكتّاب، قريبة الشبه بالمقالة النقدية الحديثة، من حيث الموضوع والأسلوب و كذلك رسالته إلى ولي العهد ، التي تدور حول ما يجب أن تكون عليه أخلاقه في سيرته الخاصة و في علاقاته مع أفراد حاشيته من القواد والموظفين، وحول تنظيم الجيوش، [4]تعتبر مقالة في السياسة وتدبير الحاشية. وكذلك رسالتاه عن الشطرنج والصيد تقتربان، إلى حد ما، من أسلوب المقالة الحديثة، ورسالة سهل بن هارون إلى بني عمه في مدح البخل وذم الإسراف مثل على المقالة الفكاهية وهي

---

[1]– **فضيلة مادي، دور عالمية الأدب ومذاهبه في تطور الأدب وظهور أجناسه الأدبية، ص87.**

[2]– **ربيعي عبد الخالق، فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص14.**

[3]– **محمد يوسف نجم، فنّ المقالة، الجامعة الأمريكية، بيروت، ط4، 1966، ص18.**

[4]–**المرجع نفسه ،ص19.**

شديدة الشبه بمقالات إديسون وستيل.[1] ورسالة الصحابة لابن المقفع، مقالة في سياسة الدولة وتدبير الرعية، و في نقد نظام الحكم ووجوه إصلاحه، ورسائل الجاحظ، وفصول كتبه التي كادت تلم بكل موضوع، وما فيها من فكاهة عذبة، وانطلاق في التعبير وتحرر من القيود، وتدفق في الأفكار وتلوين في الصور، وتنويع في موسيقي العبارات، خير مثل على النموذج المقالي في الأدب القديم.[2]

وهذا يعني أن الجاحظ قد ساهم في ارتقاء هذا الفن في هذا العصر الذّهبي للدولة العباسية، إذْ نجد ذلك واضحا في رسالة التّربيع والتدوير، إذْ أنّ لها قيمة علميّة قائمة على ما ذكر الجاحظ من القضايا الفلسفية والعلمية والتاريخية، ولها قيمة فنيّة أدبية قائمة على التهكم والسّخرية اللاذعة،وذلك عن طريق المفارقات والمتناقضات. والجدل والاحتجاج والحوار.والتصوير الكاريكاتوري الناطق، واللباقة في الحديث.

وفي العصر العباسي الثالث* شاع كتاب الرّسائل واشتهر بعضهم بالشّعر والنثر معا، كأبي الفضل محمد بن العميد، والصّاحب بن عبّاد، وبديع الزّمان الحمداني، وأبي منصور الثعالبي، وأبي حيّان التّوحيدي، وقد مالت الرّسائل إلى التّكلف دون إهمال المعنى، " إلا أنه يبقى للأسلوب قوته وبهاؤه وجودته لأنّ الصنعة لم تصل فيه إلى حدّ التكلّف الممقوت".[3]

وفي أواخر العصر العباسي، تراجعت الرسالة، وأصُيبت بالضّعف، وتدحرجت نحو الجمود بسبب التكلّف المقيت، والإمعان في التّعقيد، ومن روّاد الكتابة في هذه الفترة القاضي الفاضل

[1]–محمد يوسف نجم،فن المقالة،ص19.

[2]– المرجع نفسه، ص، 19و20.

*– العصر العبّاسي الثالث، 335–447ه/946–1055م، يبتدئ بقيام الدولة البويهيّة واستقلالها بالسّلطان، وينتهي بسقوط بغداد في أيدي السلاجقة ينظر: موسوعة ويكيبيديا الحرّة.

[3]– أحلام بالولي، بلاغة اللّغة في أدب المقال الإصلاحي عند البشير الإبراهيمي، ص31.

وعماد الدّين الأصفهاني، والحريريّ الذين مالوا إلى " تنميق العبارة،والمبالغة في الإطراء، والتأنّق في الإنشاء...والاسترسال في تزويق العبارة بأنواع البديع والجناس".[1]

غير أنّ الميلاد الفني الناضج بملامحه الكاملة للمقالة تزامن مع الطباعة، والصحافة ،في القرن التاسع عشر الميلادي بالوطن العربي عامة ومشرقه خاصة[2]، غير أنّها سارت بوتيرة بطيئة لأنّها ورثت عن الرسالة خصائصها المكبّلة ، فجاء الأسلوب في تلك المرحلة مليئا بالصّنعة والبديع المتكلّف، كما كان موضوعها يتصل –غالبا– بالموضوعات الرسمية لشؤون الدولة وتنظيمها.[3]

و لا يكاد يختلف النّقاد في الحقل الأدبي على فضل رفاعة الطّهطاوي الذي كان له دور كبير في تأسيس الصحافة في مصر ، كما أضاف للمقالة لمسة جديدة بعد عودته من رحلته إلى فرنسا.[4]

–وفي هذا تقول أحلام بالولي عن تأثره بالمقالة الغربية، حيث بدا ذلك واضحا في كتابه الذي ألفه خلال فترة مكوثه بفرنسا:"ولقد مكث بها بضع سنين، وألف كتابه المشهور (تخليص الإبريز في تخليص باريز)، وصف فيه حياة الفرنسييّن السيّاسية والاجتماعية والثقافية، وبهذا حمل معه بذور المقالة التي بدت متأثرة أيّما تأثّر بالمقالة الغربيّة الحديثة. وتعتبر جريدة (الوقائع المصريّة) منبراً صحفيّاً ضمّ أقلاماً أدبيّة بجانب الطّهطاوي،أمثال حسن العطّار، وإسماعيل الخشّاب الّذين حاولوا التخلّص من نمط الكتابة القديمة، وفتح المجال

لمرحلة جديدة اتّسمت فيما بعدُ بخلوّ المقال من البديع والبيان[5]، واهتمام الكتّاب بقضايا المجتمع المصيرّية سيّما في أواخر القرن التاسع عشر، إذْ كانت الأمّة قد دخلت في مرحلة الوعي السّياسي، وهكذا تحرر النثر في تلك المرحلة تحرّرا كبيرا من التكلّف والسّجع، وأصبح

[1]– جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،ج3، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت 1983، ص43.

[2]– عمر الدسوقي، في الأدب الحديث،ج1، دار الفكر العربي،ط8 ، 1970، ص408.

[3]–ينظر: أحلام بالولي، بلاغة اللّغة في أدب المقال الإصلاحي، ص33.

[4]–ينظر: المرجع نفسه ،ص33.

[5]–أحلام بالوالي ، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي ، ص33.

في الغالب سهلاً مرسلاً، وأصبح كتّابه يؤثرون بلاغة العبارة، واختيار اللّفظ، وسلامة التّركيب، والتعبير السليم، والمعنى الواضح."[1]

ولقد تميّزت هذه الفترة بانتعاش الكتابة الأدبيّة وبروز كتّابٍ وأدباء كانت مصر قبلتهم ،ووجهتهم لنشر أفكارهم في مختلف الصّحف والمجلاّت ، "كجريدة وادي النيل، وجريدة الأهرام، وجريدة مصر، وجريدة العروة الوثقى،وكان أبرزُ كتّاب هذه المرحلة[2] جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده ونخبة من الشباب كأديب إسحاق، وإبراهيم اليازجي، وجرجي زيدان، وولي الدين يكن ،ومصطفى لطفي المنفلوطي."[3]

وفي بداية القرن العشرين، وبازدياد الوعي وتنوّع الرّوافد الثقافية للأدباء والمفكّرين العرب بسبب تأثّرهم بالغرب، مالت الأفكار إلى التجديد، والابتكار والعمق، والغزارة، والترتيب، والوضوح، والتحليل، والتعليل... وقد تبلور فن المقالة في صورته الناضجة النهائية في هذا القرن، فقد ازداد الوعي بأصول المقالة، ودخلها التيّار الوجدانيّ الفنّي، وأصبحت تتردّد بين الذاتية والموضوعية، وأصبح الكاتب يستخدم عبارة رقيقة عذبة، أو عبارة قويّة مؤثرة تبعا لطبيعة الموضوع الذي يتناوله.[4] وقد ظهر بعد الحرب العالميّة الأولي جيل اعتبر نفسه مجدّدا نابذا كلّ قديم، فالأدب العربيّ القديم عنده " كلّه لا يصلح لحياتنا وكذلك أسلوبه الموشى بالسجع وغير السّجع، بسبب بسيط وهو الرّقيّ العلميّ الحديث".[5]

وقد عارض الرافعيّ بشدّة هذه الفكرة فكان أحد الروّاد الذين تمسّكوا بالقديم ودافعوا عنه، ومع ذلك حاول أن يقف بين القديم والجديد وأن يكون لنفسه نهجا خاصّا عرف بمذهب

---

[1] –المرجع السابق ،ص33.

[2] –ينظر: أحلام بالولي،بلاغة اللّغة في أدب المقال الإصلاحي،ص34.

[3] –المرجع نفسه ،ص34.

[4] –أحلام بالوالي ، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي ، ص34.

[5] – شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، ط10، القاهرة، 1992، ص191.

(الرّافعيّة) وغلبت عليه نزعة القديم[1] هذا ما أسفر عن ظهور فئة من الأدباء وقفت بين الاتّجاهين،فحافظت على أسلوب القدماء ومزجته بأسلوب المجدّدين لتمثّل مرحلة أخرى لفنّ المقال الّذي حمل ميزاتٍ جديدة، على مستويي الشكل والمضمون وهؤلاء المجدّدون من أمثال :طه حسين وهيكل والعقّاد والمازنيّ كانوا يرون أن يظلّوا مع الأسلوب الفصيح الرّصين الجزل، حتى يكون لأدبهم موقع حسن في الأسماع والقلوب، فهم يحرصون على الإعراب [2]وعلى الألفاظ الصّحيحة التي تقرها المعاجم، وهم في داخل هذا الإطار يجدّدون تجديدا لا يخرج بهم عن أصول العربية، وإنّما يغنيها وينمّيها بما يضيفون من نماذج وفكر جديد.[3]

نستنتج مما سبق أن المقالة لم تكن فنا جاهرا منذ نشأتها البكر في الوطن العربي، وإنما مرت بعدة مراحل وتطورات وذلك نتيجة للأحداث والمستجدات والتطورات في شتى المجالات التي شهدتها الأمة، ولقد أسهم انتشار المطابع في الوطن العربيّ من ذيوعها بين الطلقة المثقفة وبفضل الصحافة تمكنت المقالة من الوصول إلى ما هي عليه الآن.

2- خصائص المقالة الأدبية و أهم روادها :

كل فن أدبي له خصائصه التي تميزه عن غيره، وللمقالة الأدبية خصائصها التي تميزها عن سائر الفنون الأدبية الأخرى، والتي يمكن اعتبارها من مقومات المقالة الناجحة،وفي هذا يرى علي بوملحم أن المقالة يجب أن تتوفر على مجموعة من الخصائص منها :

أ- القصر:

المقالة قطعة أدبية قصيرة لا تتجاوز بضع صفحات، فإذا طالت غدت بحثاً أو فنا آخر من فنون الأدب. ويعزى ذلك إلى قصر نفس الأديب أو إلى ضيق وقته، أو إلى نظرته الجزئية إلى

[1]– حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربّي، دار الجيل، بيروت 1986، ص310.

[2] –شوقي ضيف ،الادب العربي المعاصر في مصر،ص192.

[3]– المرجع نفسه، ص192.

الأمور، أو إلى طبيعة الموضوع الذي يعالجه أو إلى وسائل النشر ومقتضياتها، وكل أديب يتأثر بهذه العوامل مجتمعة أو ببعضها فقط.[1]

ب- النثرية:

المقالة إحدى فنون النثر، إنها ليست شعراً لغلبة التفكير عليها والشعر يقتضي لينهض عاطفة متدفقة وخيالاً جامحًا. بيد أن غلبة التفكير فيها لا تلغي العاطفة والخيال، فنحن نلفي مقالات تموج بالصور وتزخر بالشعور بحيث تعد وضربًا من النثر الشعري كما هو الحال عند جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأين الريحاني. ولكن لا بد من القول أن العاطفة أو الخيال أو العبارة تبقى جميعا في خدمة فكرة يسعى الأديب إلى إيضاحها وتأديبها وإبلاغها إلى القراء.[2]

ج- التصميم:

لا تخضع المقالة في بنائها لتصميم معين كالقصة أو السيرة مثلا، ولذا نرى كل أديب ينتهج نهجاً خاصاً به في التبويب، بعضهم يعني بتنسيق أفكاره وتسلسلها وربطها فيما بينها من[3] مقدمة: تعطي القارئ فكرة سريعة عما سيبحث وتضعه في جو المقالة[4] ،وعرض: ودوره أن يتناول الكاتب من خلال الأفكار، ويبدي رأيه فيها[5]، الخاتمة: وهي نتيجة العرض، بل ثمرة ما ذهب إليه الكاتب ويجب أن تركز على النقاط الأساسية للموضوع دون أن تتضمن مسحة التكرير، وأن تلقي الضوء على ما كان قد قدمه من حلول، بحيث يكون قد توصل إلى هدفه المنشود، وهو استمالة القراء إلى جانبه بما قدمه لهم من حقائق، إمتاع وإفادة.[6]

ويقول " أحمد الشايب" عن هذه العناصر الثلاثة في كتابه " الأسلوب": " فالمقدمة تتألف من معارف مسلّم بها لدى القراء، قصيرة متصلة بالموضوع معينة عليه ... والعرض أو صلب[7] الموضوع هو النقطة الرئيسية أو الطريقة التي يؤديها الكاتب سواء انتهت إلى نتيجة واحدة أو إلى عدة

---

[1]–علي بوملحم،في الأدب وفنونه،المطبعة العصرية للطباعة والنشر،صيدا،لبنان،ص167.

[2]–المرجع نفسه ،ص167.

[3]– المرجع نفسه، ص167.

[4]– الشعار فواز، الموسوعة الثقافية العامة، الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ص173.

[5]– عمادعلي سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2009، ص 141.

[6]– الشعار فواز الموسوعة الثقافية العامة الأدب العربي، ص173.

[7]–أحمد الشايب،الأسلوب،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ،1966،ص94.

نتائج... والخاتمة هي ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت. فلا بد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، واضحة صريحة..."[1] إن هذا الربط والتنسيق والتسلسل تجعل المقالة تبدو منطقية واضحة تدلّ على نضج في التفكير وصفاء في الذهن وفهم للموضوع وبعضهم لا يبالي بالتنسيق وإنما يترك فكره على هواه فيدون ما يتبادر إلى ذهبه من أفكار ويعرضها كما تتوارد.

د- الذاتية:

مهما كان موضوع المقالة ومهما كان التفاوت في نسبة عناصرها، ثمة سمة بارزة فيها هي الذاتية، إن الأديب لا يستطيع أن يخفي عاطفته أو رأيه الشخصي ، بل يمكننا القول أن ما يحفز الأديب على كتابة المقالة هو رغبة ملحة في التعبير عن رأي يرتئيه أو عن شعور يختلج في صدره، لذا نراه مصلحاً أو واعظاً أو ناقداً أو متهكمًا أو غاضباً أو مفتخراً أو مغتبطاً أو حزيناً[2] إننا نلمح شخصية الأديب من خلال كلماته بارزة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام.

هـ- الموضوع:

وهو الفكرة التي يدور حولها البحث، وبمقدار ما يكون هذا الموضوع شيقاً بمقدار ما يقبل عليه القرّاء. وهذا الأمر يتطلّب ثقافة عميقة، ومعرفة واسعة، وتجارب حية، وإحساساً مرهفاً، ورؤى واضحة.[3]

و- الأسلوب:

يجب أن يتواكب الأسلوب مع موضوع المقالة، فيرقّ في حين ويشتدّ في حين آخر حسب الموضوع الذي يتناوله الكاتب، والأسلوب هو الطريقة في التعبير لإيصال الفكرة إلى أذهان الناس بصورة واضحة ،بعيدة عن الغموض والتعقيد، وذلك باستخدام الألفاظ السهلة والتعابير الخالية من الخطأ والتناقض وبالابتعاد عن التكلّف والتّصنع، والتزيين والتّنميق بالصورة البيانية والبديعية إلاّ ما جاء منها عفو الخاطر، مستخدماً وسائل الإقناع والتأثير، والتشويق والإمتاع، كما يجب أن تتلاءم جمل وأساليب المقالة مع المعاني وتتوافق معها.[4]

---

[1]- **المرجع السابق ،ص94.**

[2]-**علي بوملحم، في الأدب وفنونه،ص168.**

[3]- **فواز الشعار، الموسوعة الثقافية، الأدب العربي، ص172.**

[4]- **المرجع نفسه ، 172و173.**

ونخلص إلى أنّ ،على الكاتب أن يلتزم بخصائص المقالة واحترام منهج كتابة نصها حتى تكون الأفكار متسلسلة ومتناسقة ومترابطة فيما بينها، و الابتعاد عن الزخرفة والتزويق التي لا فائدة من ورائها، فقد تؤدي إلى الإبهام والغموض.

- أشهر كتابها وأساليبهم:

1.المنفلوطي (1876-1924م):

يعد المنفلوطي من أشهر أدباء مصر، ورأس الحركة الأدبية والنثر الفني في الربع الأول من القرن العشرين، وأسلوبه كان مدرسة تتلمذ عليها أعلام الأدب المعاصر، وقد نهج المنفلوطي في النثر الفني طريقة جديدة وجرى عليها الكتّاب في عصره وبعد عصره[1]،حيث جاء في مجلة " النّهار العربي والدولي"، و في دراسة حول " كتاب الأحزان" لناجي نجيب التفاتة إلى أدب المنفلوطي الباكي وعرض موجز لمنزلته خلاصته أن شهرة المنفلوطي ارتبطت بأسلوبه البياني الذي أعطاه حضوراً قويّاً في تحرير الكتابة الأدبية المصرية من قيود " القوالب المحفوظة" مع بداية القرن العشرين والنّقطة المهمة هنا، أنّه في ظل قيود المجتمع العربي التقليدي كان من الطبيعي أن يروّج المنفلوطي بين النشيء في سن التفتح العاطفي والميل الرومانسي الأول. لكن شهرة المنفلوطي لم تنحصر في جيل من الأجيال، إنّما امتدّت إلى الشباب والشيخ، وهي اقتحمت دور التعليم في معظم البلدان العربيّة ولعلّ هذا ما حدا عبّاس محمود العقاد على إطلاق تسمية " عهد المنفلوطي" على فترة من تاريخ مصر الأدبي[2].

كان أسلوبه سهل البيان حلو العبارة، قوي الديباجة ، وكان عظيم التذوق لبلاغات العرب، يحتفل بالجملة البارعة، والصياغة الرائعة وقد ظهر أثر هذا في مقالاته الأدبية، والتي أودعها في (النظرات)، (العبرات) وأحسن صياغة (ما جدولين) التي ترجمت له عن الفرنسية.[3]

2- العقاد (1889-1964م):

يعد العقاد بدون ريب علم من أعلام نثرنا الحديث، وقد ظفر نثرنا عنده ببراعة فائقة على أداء المعاني في لفظ جزل رصين، فيه قوة ومتانة، وفيه دقة تشعرك بسيطرة صاحبها على المادة الغوية، فهو يعرف كيف يصوغ كلمه وكيف يلاءم بينها ملائمة، يجد فيها قارئوه اللذة والمتعة.

---

[1]- عبد الرحمان عبد الحميد علي، معالم المقال الأدبي والصحفي، دار الكتاب الحديث 2008، ص 52.

[2]- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص203.

[3]- عبد الرحمان عبد الحميد علي، معالم المقال الأدبي الصحفي،ص53.

والعقاد يمتاز بهذا الأسلوب الرصين منذ أخذ يكتب مقالاته في أوائل هذا القرن، وهو أسلوب يدل على ما وراءه من ثقافة عميقة بآدابنا العربية[1]، استطاع أن يشتق لنفسه خلال التعمق فيها صياغته البديعة، التي لا ينبو فيها لفظ، بل تجري الألفاظ في نسق محكم مطرد. يرى عبد الحميد علي أن أسلوب العقاد كان صورة لاعتقاده ،ويظهر ذلك جلياً في أسلوبه السليم، فاللفظ السليم في نظره هو ما كان شفافاً لا يستوقف القارئ بالتزويق و إنما يخدم المعنى فتبدو من خلاله شخصية الكاتب واضحة، والمقالة عند – العقاد- هي مزيج من الأدب والعلم والاجتماع معا، وإن كانت الصبغة الطاغية عليها هي مسحة الأدب أسلوبا ولغة وشكلا، ولكنها ذات موضوعات ليست أدبية خالصة في الغالب. والحديث عن أدب المقالة عند العقاد هو حديث عن المقالة الأدبية والعلمية والاجتماعية مجتمعة.[2]

3- طه حسين (1889 – 1973م):

أسلوب "طه حسين" في مقالاته الأدبية أسلوب الفرنسيين، فالجملة عنده واضحة، عبارته متزنة، ولهندسة كلامه موسيقي واضحة التأثير، وهو فنان بارع شاعر بسطوة فنه يعتمد استعمال مواهبه ليكون لأسلوبه أكبر الأثر[3]، حيث تمتاز كتابته بالسهولة التي تترقرق في العبارة اللّينة لجوانب وإن طالت،وفي اللفظة التي تنزل في محلّها لا لشيء إلاّ التعبير الدقيق البعيد عن التخيُّل والتعقيد،وهكذا فأسلوب طه حسين هو أسلوب الترقرق الهادئ الذي يجري ويجري طليًّا، في انسياب متسلسل، و في استطالة مترابطة الحلقات، و في تكرار لا يمجّه الذّوق و لايستثقله الصدر. وإنك لتلمس الكاتب في كلّ عبارة، وتشعر أنّه بالقرب منك، تقرأه وتتمثله في آن واحد، فيطيب لك معه كلّ شيء.[4]

وطه حسين وصّاف من الدرجة الأولى، يستحضر في كتابته المشاهد استحضارا دقيقاً، حافلاً بالواقعية والحياة لا يكاد يخلو من شيء ممّا يسعى إلى إبرازه، وإلى التدليل به على ما يشعر به أو يذهب إليه من مواقف أو من آراء[5].

---

[1]–شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ،ص139.

[2]–ينظر:عبد الرحمان عبد الحميد علي، معالم المقال الأدبي و الصحفي ،ص55.

[3]– عبد الرحمان عبد الحميد علي ، معالم المقال الأدبي والصحفي ،ص58.

[4]– حنّا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص375.

[5]– المرجع نفسه ، ص375.

4- أحمد حسن الزيات (1885 – 1968م):

الزيات يقف أمام الأسلوب وقفة الصانع الماهر، ويكاد يرجع بأسلوبه إلى مدرسة (البديع الهمداني) في النثر، وجمله موقعة ومصبوغة بأصباغ كثيرة من الحلى الجمالية البارعة.

و في (وحي الرسالة) جمع مقالاته وأبحاثه التي نشرها في مجلة الرسالة [1]وهي تحوي تجاربه ومشاهداته وانفعالاته، وآراءه في الأدب والحياة والاجتماعية والسياسة، كما ينطوي الكتاب على تراجم لشخصيات سياسية وأدبية وعلمية، ولأهمية هذا الكتاب، وغنائه بالفكر الأدبي والنقدي والسياسي والاجتماعي، ولأن (الزيات) كتبه بأسلوب أدبي رفيع، يعيد إلى الأذهان ما كانت عليه الأساليب العربية القديمة من نقاء وروحانية، فإنه نال به جائزة الدولة عام 1953م وطبع الكتاب عدة طبعات.

أما المعاني فلا يشترط (الزيات) فيها الأصالة، فقد يعمد الأديب إلى معنى شائع، فكرة مطروقة، فيعبر عنها بالصورة اللفظية الأصيلة، أو التركيب اللغوي المبتكر، فتخرج من يده وكأنها ولدت أول مرة، ثم تعيش في الحياة مقرونة باسمه وتنتقل في الناس موسومة بوسمة[2].

5- إبراهيم عبد القادر المازني (1889-1949م):

تخرج من مدرسة المعلمين وله باع طويل في كتابة المقالات الأدبية وهو في الحق أحد كتابنا الممتازين الذين استطاعوا أن يحدثوا لنا أدباً مصرياً جديداً، وهو أدب مليء بالفكر والشعور والسخرية الجادة.

وليس هذا كل ما يميزه، فإنه يتميز –أيضا– بأسلوب خاص كان لا يتحرج فيه من استخدام بعض كلماتنا العامية، وبذلك كان له أسلوبه الشخصي الذي ينفرد به بين معاصريه، لا بخصائصه اللفظية فحسب، بل أيضاً بخصائصه المعنوية وما فيه من سخرية وفكاهة مستملحة[3].

وكتابة المازني تدفق روح، وانصباب هواجس، وانطلاق مزيج من عقل مفكر وعاطفة جيّاشة، وغنى تعبيري حافل باللباقة وروعة الأداء، ولهذا عدّ المازني من أركان النهضة الحديثة الذين وجّهوا الأدب العربي الحديث شطر الفنّ الحقيقي وشطر الروح الإنسانية الخالدة[4].

---

[1]–عبد الرحمان عبد الحميد علي،معالم المقال الأدبي و الصحفي،ص61.

[2]– المرجع نفسه ، ص62.

[3]– شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص 264.

[4]– حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص320.

والمقالة أزهى الألوان في نثر المازني فكتب سلسلة مقالات لكل من السياسة الأسبوعية، والأخبار والجديد والبلاغ، والأساس، وأخبار اليوم، والهلال والرسالة، والثقافة.

يقول المازني في مقدمة كتابه "صندوق الدنيا":" أنا أكتب في الأسبوع مقالين فجملة ذلك في العام تبلغ المائة. وكل مائة مقال تملأ خمسة كتب كهذا (يعني كتاب صندوق الدنيا)..."[1]

6- أحمد أمين (1886 – 1954م):

يصف أحمد أمين مقالاته التي كان ينشرها في مجلة الرسالة بقوله: (وأكثر ما اتجهت في هذه المقالات إلى نوع من الأدب تغلب عليه الصبغة الاجتماعية والنزعة الإصلاحية، فهذا أقرب أنواع الأدب إلى نفسي وأصدقها في التعبير عني.

وخير الأدب ما كان صادقا يعبر عما في النفس من غير تقليد ويترجم عما جربه الكاتب في حياته من غير تلفيق).[2]

وقد تولى (أحمد أمين) إصدار مجلة (الثقافة) وصدر عددها الأول سنة 1939م و كان يغلب عليها الطابع العلمي والدراسة الموضوعية.

وكان أسلوبه يميزه عن كتاب عصره، فهو بعيد عن الصناعة اللفظية واضح سهل التراكيب، وقد طغت على مواهبه الأدبية النزعة العلمية، حتى استطاع أن يجمع بينهما وأن يحيّر النقاد في الحكم على آثاره.[3]

[1]– نعمات أحمد فؤاد، أدب المازني، مؤسسة الخانجي، القاهرة،ط2، 1961، ص–ص 159–160.

[2]–عبد الرحمان عبد الحميد علي ، معالم المقال الأدبي والصحفي،ص67.

[3]– المرجع نفسه ، ص 68.

فنجد (زكي المحاسني) يصف مقالات (أحمد أمين) بأنها جاءت مستوفية الفكرة والموضوع، فلم يهتم خلالها بالصناعة اللفظية، وما يقتضي صنع المقالات من عناية بالتعبير الفني والشكل الأنيق.

ويرى (زكي المحاسني) أن مقالات (أحمد أمين) ومؤلفاته يمكننا أن، نعتبرها نقد للحياة والمجتمعات التي درسها وبحث في مظاهرها العقلية وتقاليدها الإسلامية والعربية في العصور الزاهرة و في العصر الذي عاش فيه[1].

نستنتج مما تقدم أنّ لكل كاتب أسلوبه الخاص به الذي يميزه عن غيره من الأدباء والكتاب، وهذا التنوع في الأساليب كان عاملاً هاماً في تطور فنّ المقالة.

ومن بين أعلام المقالة الأدبية الذين برعوا وسطع اسمهم في تاريخ الأدب العربي — والذي نحن بصدد دراسة فن المقالة الأدبية عنده–هو مصطفى صادق الرافعي الذي امتاز بفكره العميق وعباراته الدقيقة وأسلوبه الخاص في الكتابة، حيث إنّه كَوَّنَ لنفسه منهجاً خاصاً به عُرِفَ بمذهب الرّافعية.

---

[1]– **عبد الرحمان عبد الحميد علي ،معالم المقال الأدبي والصحفي،ص68.**



الفصل الأول:

جهود الرافعي

في

كتابة المقالة

المبحث الأول: الكتابة عند الرافعي

لقد عُرف الرافعي بمساهمته في تطور الكتابة العربية، من حيث تفردّه على أدباء عصره بأسلوبه من خلال المعاني التي وظفها، حيث تظهر شخصيته واضحة في فصوله التي أنشأها والموضوعات التي تناولها وذهب إلى التجديد فيها.

ولعل من العوامل التي ساعدته في بلوغ هذه المترلة في الأدب والكتابة العربية، راجعة إلى تربيته وثقافته ومحيطه الأسري.

«عُرفَ عن الأسرة العُمريّة الجديدة الرافعية كُلُفَها الشديد بالفِقْهِ وعلومِهِ الإسلاميّة،وكان منهم فقهاءُ الأحنافِ و القُضاةِ في شتّى أقطار الدولة الإسلامية ، منذ عهد جدّهم شيخ المشايخ أبي عقيل المنبجي ،ولاسيما في العهد الأخير للدولة العثمانية.

ولا يكادُ يشبُّ الطفلُ فيهم عن الطوق حتّى يتعهدوهُ بالتأديب وألوان التهذيب التي تطبعُهُ على الطّاعة وتقديس الدّين، ويُغرقوه في الثقافة التقليدية للأسرة بجوانبها التطبيقيّة والعلميّة».[1]

نرى أن الرافعي امتلك هذه القريحة بالوراثة، حيث كانت تهتم أسرته بتربية أبنائها تربية إسلامية فكان منهم الفقهاء والقضاة. وفي هذا الشأن يواصل مصطفى نعمان البدري قوله: "وما أتمّ أديبنا العاشرة من عمره حتى جمع القرآن كلّه حفظًا وتجويدًا بأحكام القراءة، إذْ حال المرض بينهُ وبين أن يلتحق بالمدارس النظامية، ولكنّهُ اختلف على الكتّاب، ونال خطوةً كبرى عند أبيه الشيخ عبد الرزّاق الرافعي كبير القضاة في الغربية المصرية فكان الأثير بين إخوته، الذي يتلقّى عنه دروس الفقه واللّغة والتاريخ، تلك الموضوعات التي ما برحت مادة الثقافة القوميّة وأصولها، على ذلك المثال الذي عُرِفَ للأمَةِ في فُضْلياتِ أيامها.[2]

---

[1]– **مصطفى نعمان البدري، الرافعي بين المحافظة والتجديد، دار الجيل،بيروت،دار عمّار،عمّان، الأردن،ط1 ، 1991، ص، 303و304**

[2] – **المرجع نفسه، ص304.**

ولّما حانت التفاتةٌ من أبيه الشيخ، التحق هو بمدرسة « دمنهور» الابتدائية، في الوقت الذي لم ينقطع فيه عن ملازمته، والأخذ عنه وتحضير درُوسه في علوم الحديث والأصول على يديه.

وكان ميله بذلك إلى الفصحى في المخاطبة قد نّماهُ، وتعهّد ذلك الأخذ الخاص الذي غَرَسَ فيه حبَّ العربية وأهلهّا وبيّاها."[1]

ومن هنا يمكننا القول أن نشأة الرافعي القائمة على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف راجعة إلى، والده الشيخ عبد الرزّاق الرافعي الذي تلقى عنه دروس الفقه واللّغة والتاريخ ،فعرس فيه حبّ اللّغة العربية وعلومها.

المطلب الأول: الأديب الذّواقة

عُرف الرّافعيُّ بين معاصريه بالأديب الذواقة[2] الذي يتحرى البيان في المعاني، والحلاوة في الكلمات حيث كانت له قدرة عجيبةٌ في تأمُّل الحروف واستخراج التفسيرات من ذلك كلّه[3] وهو نفسه كان يرى للذّوق أصالةً تتعهدّ بالغرسِ والنّماء، والتربية والتهذيب.[4]

- لوحظ على الرافعي فصاحته وطلاقة لسانه، الذي لا يشوبه شائبة منذ أن كان تلميذًا في المدرسة الابتدائية على عكس أقرانه الذين اختلطت لغتهم العربية بالعامية، مما دفعه إلى الاجتهاد في دراسته والإلمام بجوانب العلم والمعرفة وتذوق الأدب، و في هذا يقول سعيد العريان : " لوحظ عليه في مدرسة المنصورة الابتدائية ،وهو يُفصحُ في حديثه ويمتاز بمقالتِهِ،[5] وينعى على رفاق الدّرس ارتضاخ ألسنتهم للعاميّة التي تذوب فيها الحروفُ والكلماتُ بين لفظ السادة الأعاجم وعبيدهم في الدّيار المصرية آنذاك، وهذه الحالُ قد أودعَتْهُ من يومئذ طُموحًا خاصًّا:

---

[1] – المرجع السابق، ص304.

[2] – مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت،د.ط.د.س،ج3، ص284.

[3] – محمد سعيد العريان حياة الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة،ط3 ، 1955، ص185.

[4] – المرجع نفسه، ص185.

[5]– سعيد العريان،حياة الرافعي ،ص18.

أن يغلب أبدًا في امتياز، وأن يسلك في مضمار الأخذ العلمّي، واستيعاب الـدروس، والإلمـام بجوانب المعرفة، وتذُوَق ذلك كلّه مع الأدب والفن والجلال والجمال فما عـاد ينقطـعُ عـن الدراسة النظامية حتّى تهيّأ له في مكتبة أبيه العامرة بالمُصَنّفات». [1]

وكانت لمكتبة أبيه دور كبير في تكوينه، لما تحتويه من كتب نادرة في الفقه التي كانت سببا في تنمية ذوقه الأدبي «الجامعة أشتاتًا من نوادِرِ كتُب الفقه والعربيّة- ما يملأ عليه أفقه الدراسيّ الطموح، وذوْقَهُ الأدبيّ، ويفيض عليه بأنواع أخرى من الدروس التي اعتـدَّ بهاأبـدًا. ولَهِـجَ بالشكر والثناء المستطاب لفضل ذلك الوالد العظيم في هذا الشأن من تعليمه وإعداده لحمل تبعة الفكر العربي المؤمن فيما بعد، وإذا ما علمنا أنه لاَزَمَ أباه الشيخ في بيته حتّى اختـاره الرفيـق الأعلى إلى جواره، أدركنا ذلك المدى الذي تهيّأ له فيه مثالُ الرعاية التربوية والثقافية، وتعهُّـد الغرس فيه، والإثمار في كلّ- وقد قال له ذات يوم: إنك يا ولدي تجاهدُ في سبيل الله، تلك العبارة التي كان لها وقعُ الوحي والإلهام - غير التوجيه والسداد — لمن هيّأتْهُ العنَاية الإلهيّة لأمر من الأمور، ومست من فؤاده مكانًا خَلِيًّا بالبثِّ والنجوى حتّى غدت له من ثمّ آية الإلهام التي تطلع عليه بما يفتحُ الله له من آفاق العلم ورحابِ الفقه». [2]

ومن هنا نرى أن والد الرافعي كان له فضل كبير في تعليمه وتكوينه وإعداده حـتى بلـغ مترلة عالية من العلم والتربية، وكان الرافعي أحسن مثال في برّ والديه وطاعتـهما، وفي هـذا يقول سعيد العربان:" برُّ الرافعيّ بأبيه من بعدُ، مثال فريدٌ في حسن التربية والإعداد معًا، فقد انطبع على غرارِه، وكان سِرُّ أبيه في مواصلة الدّرس وسعةِ الإطلاع والظهور على مُعاصريه" [3]

---

[1] – **المرجع السابق، ص18.**

[2] – **مصطفى نعمان البدري، الرافعي بين المحافظة والتجديد، ص306.**

[3] – **محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص18.**

"وكل ما يجلب الخير والغبطة لأبيه وهو يرقى سلّم المعرفة صُعودًا إلى الصدارة في ديوان الأدب، والرئاسة في الكتابة، والامتياز في سداد الرأي، والموافاة في الحكم.[1]

إذن كانت لأبيه يدٌ عليه راعيةٌ وموجّهة – بعدما اصطفاه من بين إخوته وأثَرَهُ بفقهه وعلمه وأدبه، فكان كما أراد شخصيّةً وانفردًا".[2]وقد يضاف إلى ذلك عطف أمّه عليه، وإيثارهَا لَهُ.[3]

ومن هنا نخلص إلى أن المحيط الأسرى والتربية التي تلقاها الرافعي كانت من أهم العوامل التي ساهمت في بلوغه لهذه المترلة الرفيعة، فكان بذلك من أهل البيان والأدب.

- **الحالة النفسية**: لابد أن يكون للعامل النفسي دوره أيضا في تكوين هذا الأديب حيث فجر فيه طاقات الخلق والإبداع " ومن جانب آخر ندرك الحالة النفسية التي كان عليها في دراسته ومحاولاته الاستباق مع الأيّام، بما تفجّر فيه من طاقات الألمعيّة والذكاء،عُرف عنه في الابتدائية أنه كان يثير إعجاب أستاذه(مهدي خليل)،فيستطيل لوضع شواهد للعربية من نظمه.[4]

غير التي يتناقلها علماء النحو والصرف واللّغة من كلام العرب منذ نشأت تلك العلوم. وإذا عرفنا شأن مكتبة أبيه. ومكتبة الشيخ القصبي ،ومكتبة الجامع الأحمدي في طنطا.[5] حيث استقرّ به المقام بعد التطواف مع أبيه وتطوافه هو في وظيفته –ودار الكتب المصريّة، تلك التي كان يغترف من مناهلها، ويلقف ما حوته نوادرها وفرائدها، ويوجزُ وينسخُ ويختصر... أدر كنا سراً آخر من اِنطوائه على نفسه في تلك الأيام في اعتكاف خاصٍّ، يقرأ ويطالعُ، ويعيش مع

---

[1] – مصطفى نعمان البدري، الإمام مصطفى صادق الرافعي،مطبعة دار البصري، د.ط،د.س، ص238.

[2] – المرجع نفسه ، ص238.

[3] – محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص28.

[4]– مصطفى نعمان البدري، الرافعي بين المحافظة والتجديد، ص–ص،308–309.

[5] – محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص68.

علماء الأمة في تاريخها الكبير.[1] ويتذوَقُ معانيهم، وينطقُ بكلماتهم،ويحرّك حروفهم فكأنّه يشركُهم حياتهم وعُصورَهم هاتيك».[2]

إن اِنطواء الرافعي على نفسه كان سرًا من أسرار تذوقه للأدب وتعلقه بعلماء الأمّة، من خلال انتقاله بين المكتبات واعتكافه ساعات طوال في القراءة والمطالعة والاغتراف من علومها ونوادرها.

ويرى مصطفى نعمان البدري أن انصرف الرافعي إلى القراءة والمطالعة كان سببا لتعويض مرضه وللتخفيف عن نفسه" أجل...لقد كان يعوّض بذلك عن الوحشية التي تعتريه من غُربته ومرضه الذي راح يحجبه عنه الناس في أنديتهم ومجتمعاتهم، فينطوي على عشق لبعض الصور الحسنة تخفف عنه بعض الشيء.

وكذلك ندرك السّرّ الأخر في انفراده بين الحقول والبساتين في نزهاته وخلواته البعيدة في تلك الأيام ورحلاته التي تهيّأُ لهُ».[3]

إن نفسية الرافعي كان لها أثر كبير على أدبه وعلى انتاجاته الإبداعية، دون أن ننسى ما كان لمحيطه الأسري وتربيته وثقافته من أثر كبير في تكوينه كما أشرنا من قبل.

- **العروبة الموروثة:** إنّ تشبث الرافعي بتعاليم الدين الإسلامي وافتخاره بعروبته وتعلقه باللغة العربية، بدى واضحًا في أدبه، فقد كان كثير القراءة ومهتما بالمخطوطات والكتب النادرة ومن هنا يمكننا أن ندرك السبيل الذي نهل منه ثقافته وفنه "ولو انقلبنا معه – وهو يختلف على مصر، ويقصد دار كتبها العامرة، ويلقى العلماء والأدباء، ويتناول منهم بعض المراجع والمخطوطات النادرة، والكتب والرسائل الوافرة...[4] وتأمّلنا في بقايا دفاتره وأوراقه

[1] – مصطفى نعمان البدري، الرافعي بين المحافظة والتجديد، ص309.

[2] – المرجع نفسه، ص309.

[3] – المرجع نفسه ، ص309.

[4] –مصطفى نعمان البدري،الرافعي بين المحافظة والتجديد،ص310.

التي كان ينسخ فيها ويختصر ويأخذ من تلك الكتب؛ عرفنا كيف تهيّأ له ذلك المدى الذي أدركه سبيل ثقافته وفنّه، وعرفنا أيضا كيف تترلت العربية ببيانها وبلاغاتها، ومفرداتها ومعانيها منه مترلة الفطرة الغالبة، حتّى حسبه "العريان" في أوّل ما بدا له – وكأنّه رجل من التاريخ قد فرّ من ماضيه البعيد،وطوى الزمان القهقري ليعيش في هذا العصر، ويصل حياةً جديدة بحياة كان يحياها منذ ألف سنة أو يزيد في عصر بعيد.[1]

وقد ظلّ على هذا الدّأب في القراءة والاطّلاع إلى آخر يوم من عمره، يقرأ كلّ يوم ثماني ساعات متواصلة يمل، ولا ينشد الراحة لجسده وأعصابه، كأنّه من التعليم في أوله، يتسع بالمحفوظ ويتثبّت من النقل، ليبلغ الغاية في الأخذ والاستيعاب ".[2]

ولو عدنا إلى رسائله الخاصّة، ومنها تلك التي وجّهها إلى صفيّه محبّ الدين الخطيب، والأخرى التي لقفها عنه محبّه محمود أبو ريه حيث يقول: "إنك تريد امتلاك (ناصية الأدب) كما تقول فينبغي أن تكون لك مواهب وراثية تؤديك إلى هذه الغاية وهي ما لا يعرف إلا بعد أن تشتغل بالتحصيل زمنًا فإن ظهر عليك أثرها وإلا كنت أديبًا كسائر الأدباء الذين يستعيضون من الموهبة بقوة الكسب والاجتهاد..."[3] ومن هنا يقول نعمان البدري: "أيقنا أن تلك السبيل التي سلكها خلال الأخذ، وعبّدها لنفسه حتى أثمر فيها، عاد يجعلها سلوكًا حميدا لأصفيائه وتلامذته الأدنَيْن"[4]

إنّ امتلاك ناصية الأدب في نظر الرافعي لن تكون إلا من خلال الاغتراف، من كتب الأدب العربي والتحصيل منها، وهو ينصح تلامذته في إتباع خطاه في ذلك.

[1]– مصطفى نعمان البدري، الرافعي بين المحافظة والتجديد، ص 310.

[2] – المرجع نفسه ، ص311.

[3] – محمود أبورية، من رسائل الرافعي، دار المعارف،مصر،ط2، 1912–1934، ص26.

[4] – مصطفى نعمان البدري، الرافعي بين المحافظة والتجديد، ص314.

مثال ذلك قوله: «اجتهد أن تكون مفكرًا منتقدًا، وعليك بقراءة كتب المعاني قبل كتب الألفاظ وادرس ما تصل إليه يدك من كتب الاجتماع والفلسفة الأدبية في لغة أوروبية أو فيما عرّب منها واصرف همتك من كتب الأدب العربي بادئ ذي بدءٍ إلى "كليلة ودمنة" "والأغاني" ورسائل الجاحظ وكتاب "الحيوان" و "البيان والتبيين"، وتفقّه في البلاغة بكتاب "المثل السائر" لابن أثير، وهذا الكتاب وحده يكفل لك ملكةً حسنة في النقد الأدبي، وقد كنت شديد الوُلوع به».[1]

يتضح لنا من كلامه أنّه بحثه على الاجتهاد حتى يصبح مفكرًا ومنتقدًا، ولن يكون ذلك في رأيه، إلاّ من خلال الاطلاع على أمهات كتب الأدب العربي ك " كليلة ودمنة" و "الأغاني" وكتب الجاحظ...وغيرها. فضلا على حثه الإطلاع على علوم أخرى كعلم الاجتماع والفلسفة سواء بلغتها الأجنبية أو معرّبة.

ويوصيه أيضا بقوله: «ثم عليك بحفظ الكثير من ألفاظ." نجعةِ الرائد" لليازجي، والألفاظ الكتابيّة للهمداني، وبالمطالعة في كتاب "يتيمة الدهر"للثعالبي،و "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "زهر الآداب" للحصري.... ».[2]

إنّ الرافعي من خلال هذه الوصية أو المنهاج يدعو الأديب إلى أن تتوفر فيه كل الخصائص القومية، وروحه العصرية فإن نجح في هذا تمكن من تربية ذوقه الأدبي وتهذيبه.

المطلب الثاني: أسلوب الرافعي

أسلوب الرافعي أسلوب فريد من نوعه، وذلك لإيمانه أن الأدب فن سام يجب أن يؤدى بأداء سليم، حتى يكون له تأثير في نفسية متلقيه ويسمو بالذوق الإنساني " إنّ الرافعي يؤمن بأنّ الأدب فن، وأن هذا الفن يجب أن يؤدّى بأداء صحيح سامي التعبير مع الدقة والإبداع في

[1] – محمود أبورية، من رسائل الرافعي، ص26.
[2] – المرجع نفسه ، ص26.

الصورة زائد معه الجمال ليلبس أبهى حلة، وليبعث النشوة في النفس ويسمو بالذوق الإنساني مصوراً له الجمال في جلال وجمال وصور وألوان».[1]

يعدّ عبد العزيز المقالح الرافعي من كبار الأدباء العرب، وذلك لأسلوبه الغير مألوف. فهو أسلوب مخالف ومغاير لأدباء عصره، حيث يقول:" وبذلك كان الرافعي واحدًا من كبار الأدباء العرب الذين ظهروا في بداية هذا القرن، وقد اشتهر بأسلوب غير مطروق في فن الكتابة، وقدم في العشرينات والثلاثينات نماذج أدبية تجاوزت معطيات المرحلة التي عاش فيها،كما تجاوزت أساليب المجددين الذين عاشوا معه في نفس مرحلته».[2]

حيث يؤكد لنا الزيات تفرد أسلوب الرافعي عن أسلوب غيره من الأدباء « لا أعلم أديبًا معاصرًا حاز من هذه الفضيلة ما حازه الرافعي، فقد كان في الكتابة طريقة وحده... أسلوب الرافعي يمتاز بالسلامة والسلاسة والإيجاز العميق. وهذه المزايا نتائج حتمية لاكتمال عدته وغزارة مادته وصفاء ذوقه وذكاء فهمه».[3]

يرى الزيان أن أسلوب الرافعي يمتاز بالسلاسة والسلامة والإيجاز العميق، وهذا دليل صفاء ذوقه وذكاء فهمه.

[1] – **رسالة ماجستير:نجاة محمد عبد الماجد العباسي ، الجانب الديني في أدب الرافعي، جامعة أم القرى–مكة المكرمة، 1982، ص108.**

[2] – **عبد العزيز المقالح، عمالقة في مطلع القرن، دار الآداب، بيروت،ط2، 1988م، ص123.**

[3] – **أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع مكتبة النهضة، مصر، الفجالة،ط7، 1962، المجلد الأوّل،ص435.**

وكان يكتب في الصحف مرارا بدون توقيع فينم أسلوبه عليه، حصل ذلـــك في مقـــالات (على السفود). و في مقالة (جنود سعد)، وهو وإن كان يحفظ ويقرأ لأعلام الكتاب[1] فإنّه كان يجمع أطرافا من أولئك بطريقة رافعية.[2]

حيث يعد كمال نشأت أدبه «أميل إلى روح التراث في وسائل صياغته وطريقة تعبيره، بل و في معجمه اللفظي وزخارفه البيانية. ولذلك عد الرافعي من الكتاب السلفيين، ولعل قراءته في أحد الكتب القديمة قبل إقباله على الكتابة-كما كانت عادته –ساعدت طبعه الذي نما علـــى دراسة تراث الأدب العربي، على أن يعيش في جو التعبير العربي الجزل والصـــياغة المحبوكـــة، بحيث يخيل إليك وأنت تعيش معه فيما كتب أنك تعيش مع كاتب عباسي».[3]

يعتبر كمال نشأت أدب الرافعي من التراث، من خلال ألفاظه التي يســتعملها وزخارفـــه البيانية، وذلك من خلال قراءاته الكثيرة للكتب القديمة، حيث عدّه كاتبًا من العهد العباسي.

و في هذا يقول أحمد هيكل «وهكذا كان من خصائص أسلوب الرافعي أنها تستلهم المعجم القرآني والسني والتراثي على وجه العموم، حيث يتكئ الكاتب في كثير من المواطن على لفظة أو عبارة من القرآن الكريم، أو على كلمة أو جملة من الحديث الشريف، أو على حكمـــة أو مثل[4] أو بيت شعري من مأثورات العرب.

[1] –رسالة ماجستير:محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي، كلية الآداب،جامعة العراقية، بغداد 2012،ص134.

[2] – أنيس المقدسي، الفنون الأدبية،وأعلامها،دار العلوم للملايين، بيروت،د.ط،1978م،ص319.

[3] – كمال نشأت، مصطفى صادق الرافعي،دار الكتاب العربي،مصر،د.ط 1968 ،ص84.

[4] – أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف،مصر،ط6، 1994، ص388.

ومما يكمل صورة طريقة الرافعي بعد ذلك كله، أنها تميل إلى استخدام بعض البديع ولكن في اقتصاد وفنية، وبعض هذا البديع يأتي لخدمة الجانب البياني المتصل بروعة الصياغة،كالسجع والجناس، وبعضه يأتي لخدمة الجانب المعنوي الجانح إلى توليد الأفكار كالمقابلة والتورية».[1]

لقد اعتمد الرافعي في الكثير من المواطن على لفظة أو عبارة من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو بيت من الشعر، فضلا عن استخدام بعض البديع، فكان منه ما يخدم الجانب البياني ومنه ما يخدم الجانب المعنوي.

وفي ذلك يقول علي الطنطاوي في مقالته التي وجهها إلى مصطفى صادق الرافعي «هذه البلاغة العلوية التي تسمو بتاليها، وتسمو حتّى تدنو به من حدود العالم الكامل، عالم القرآن...».[2]

حيث عبر في هذه المقالة عن إعجابه بالرافعي، ومهاجمته من كانوا يصفونه بالغموض والتعقيد، وإن كان يجهر بأنّه ربما نقم منه مبالغته في المعاياة في بعض جمله وتراكيبه.[3]

1-الأفكار:

والأفكار هي (الحقيقة أو المعنى أوالمضمون) و قل إن شئت: مجموعة من الخواطر تستولي على ذهن الأديب ومشاعره يعرضها علينا بأسلوبه الخاص.

وكلما كانت الأفكار صحيحة وواقعية ومطابقة للحال، وحقيقية، وخالية من التناقض، جاء الأسلوب الأدبي جيدًا ورائعاً، كونه يحمل تلك المقاييس التي تجعل المتلقي ينفعل ويتأثر بها

[1] – المرجع السابق، ص388.

[2] – علي الطنطاوي"«إلى الأستاذ الرافعي» مجلة الرسالة، العدد 69،1934

[3] – رائد السمهوري،علي الطنطاوي وأعلام عصره (سيد قطب وآخرون)اصداقة–خصومة–نقد،دار مدارك للنشر، د.ط،د.س،ص45.

إلى حد كبير،ويشعر من خلالها بالقيم الموضوعية المطروحة في النص الأدبي، وكأنّها تسمو بالإنسان إلى مراق التقدم والكمال، أو كأنه قرأ عدة كتب أدبية في وقت واحد.[1]

إنّ أفكار الرافعي كانت تهدف إلى الارتقاء بالنفس الإنسانية وإصلاح أحوال المجتمع، فكانت أفكاره صالحة لكل زمان ومكان وفي هذا يقول محمود شاكر خيون «أدرك الرافعي قيمة الأفكار والمعاني وأهميتها في المجتمع، فجاءت أفكاره تنشد السمو والارتقاء بالنفس والحياة معاً، وأخذ يبحث بشكل دؤوب عن أسرار الجمال والخير يتوسل بكل الطرق، ويطرق أبواب المجتمع الإنساني، ينقل أفكاره من هنا ومن هناك، فيجعلها تعيش في خياله مدة من الزمن، فيخرجها أدبًا ساميًا يتسلح بالصورة المجازية والتعبير الشاعري، ثم تصبح أفكاره صالحة، لكل زمان ومكان».[2]

وتعددت الأفكار في أدب الرافعي، وكانت في أغلبها ذات طابع ديني، وإصلاحي نتيجة نشأته الدينية التي كان لها تأثير كبير فيه، وثقافته الإسلامية التي صقلت شخصيته، فجاءت أفكاره أصيلة في ميدان الإصلاح الاجتماعي.[3]

حيث يرى حسين البدري أن هذا يظهر جليا في معاركه الأدبية المشهورة ولا سيما ما دار منها حول أصول الأدب العربي والتاريخ الإسلامي والقرآن ولغته وبيانه ومثلته مقالات "تحت راية القرآن" أو "المعركة بين القديم والجديد" وكثير من أناشيده وأغاريده.[4]

وعالج الرافعي الكثير من القضايا الواقعية التي لها صلة كبيرة بالدين والمجتمع ،من خلال اتكاءه على التراث الإسلامي والعربّي، خاصّة مقالاته التي جمعها ونشرها في كتابه، وحي القلم، فهو يقتبس من القرآن والحديث الشريف، ويضمّنها أبياتا من الأشعار السائرة والأمثال

[1] – **ينظر:محمود شاكر خيون ،الجمال في أدب الرافعي، ص135.**

[2] – **المرجع نفسه، ص135 و 136.**

[3] – **ينظر، محمود شاكر خيون ، الجمال في أدب الرافعي، ص135.**

[4] – **ينظر، مصطفى نعمان البدري، الإمام مصطفى صادق الرافعي، ص ، 9و10.**

النادرة لأنّ مقالاته كانت تضمّ مواقف إسلامية ،وخواطر نفسية، و مشاعر إنسانية، ونظرات إصلاحية.[1]

إنّ أفكار الرافعي كان لها صدى مقبول بين أوساط المجتمع، حيث كانت تحتوي أفكـــاره قضايا اجتماعية هي من صميم الواقع الذي يعيشه الفرد، و في هذا يقول محمود شاكر خيون: «ومما جعل أفكاره تلقي قبولاً واسعًا في المجتمع، كونها عالجت الكثير من الخلل، ومن أهم تلك المواضيع، قضية المرأة في أبعادها المختلفة، فكانت تلك الفكرة الأساسية ،واندرجت تحت تلك الفكرة مجموعة من الأفكار والقضايا التي عالجها الرافعي في أدبه منها (تعليم المرأة وتثقيفها) و (ممارستها للعمل في المجتمع) و (حجاب المرأة وسفورها)».[2]

كان الرافعي من أشد المدافعين عن القرآن الحنيف وتعاليم الدين الإسلامي، حيث وقـــف مدافعا ومنتقدًا لكتاب "طه حسين" لما تبناه من أفكار خاطئة حول القرآن والإسلام ،حيـــث يقول محمود رجب البيومي أنّه «قام الرافعي في مواجهة ما تورّط فيه مع طه حسين بمقام رائع ممتاز وضع الحقّ في نصابه، حيث كان أوّل من نقد كتاب الشعر الجاهلي من البـــاحثين، وأوّل من لفت الأنظار إلى خطورة ما سجّل من أوهام تتعلق بالقرآن والإسلام، وبسبب مقال الرافعي ثارت ثائرة الشعب المسلم، وتحرّك الأزهر فأصدر بيانه الملزم، وكتب الناقدون في الصحف».[3]

ومن الأفكار الأخرى التي ظهرت في أدبه قضية الفقر ومشكلاته، في مقالات (وحي القلم) حيث يتحذ من النبي صلى الله عليه وسلم رمزًا، لما يحمله من صفات وفضائل مثل التقشـــف

---

[1] – ينظر، رسالة ماجستير لـــ:هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في "كتاب المساكين" لـــ:الرافعي، كلية الآداب ، جامعة ورقلة،2002_2003،ص69.

[2] – محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي، ص–ص،136–137.

[3] – محمد رجب البيومي، مصطفى صادق الرافعي،فارس القلم –تحت راية القرآن،دار القلم،دمشق،ط1997،1،ص203.

والتسامي والصبر والجهاد والإيمان والإخلاص والإيثار والقوة والشجاعة، فضلا عن إنسانيته العليا ومنزلته في الآخرة.[1]

وشغلت هذه الأفكار حيزا واسعا في أدبه، فألف كتاب (المساكين) واستطاع من خلاله أن يقدم أنموذجًا أدبيًا بشريًا للفقير هو "الشيخ علي" بطل كتاب "المساكين"، وهو الرمز الذي يقول عنه:«وقد وضعت كتابي للمساكين وأسندت الكلام فيه إلى (الشيخ علي) وهو رجل ستعرف من خبره الذي أقصُّ عليك أنه الجبل المتمرّد الباذخ الأشمّ في هذه الإنسانية المسكينة التي يتخبطّها الفقر من أذاه وجنونه ومسّه»[2] ومن القضايا الأخرى التي شغلت حيزًا واسعًا، في عالمه الأدبي قضية (الحب العفيف الطاهر)، وألف الرافعي في هذا الموضوع مؤلفات عدة، وهي ((حديث القمر)) و ((السحاب الأحمر)) و ((رسائل الأحزان)) و ((أوراق الورد)) ومقالات في ((وحي القلم))، وأول كتاب ألفه الرافعي، يستلهم فيه من وحي الحب هو ((حديث القمر))،وهو أسلوب رمزي في الحب، تغلب عليه الصنعة، ويعد هذا الكتاب أنموذجًا في تعليم الإنشاء».[3]

إنّ مفهوم الحب عند الرافعي يختلف عن مفهوم أبناء جيله ، فهو يعتبره حبا حقيقيا ، ولغته وحي سماوي والحبيب صورة سماوية.[4] وفي هدا يقول سعيد العريان «يسمو الحب عند الرافعي، وترتقي أفكاره ومفاهيمه له، كونه الحب العفيف الطاهر، حتى يصل به الحب إلى غاية عليا فيصبح عنده، نبوة على قدر ابتدائها، فيها الوحي والإلهام، وفيها الإسراء إلى الملأ،الأعلى على جناحي ملك جميل، وهو مادة الشعر وجلاء الخاطر وينبوع الرحمة وأداة البيان».[5]

---

[1] – **ينظر:محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي، ص137.**

[2] – **مصطفى صادق الرافعي، المساكين،دار العصور،مصر،ط2،1929م، ص33.**

[3] – **محمود شاكر خيون،الجمال في أدب الرافعي، ص138.**

[4] – **ينظر: المرجع نفسه، ص139.**

[5] – **محمد سعيد العربان، حياة الرافعي، ص96.**

ويؤكد عبد السلام أقلمون. "أنّ الرافعي كان ينشئ أدبه بين أيدي تاريخ حافل بالأسماء، لا يزال لكل واحد منها دوي في أذن الزّمان حتى كأنّ القدر يمحض قدره من بين أقدارهم، وهؤلاء لهم طه حسين والعقاد وشوقي والمنفلوطي وحافظ والمازني، لكنه امتاز من هؤلاء جميعا بالإصرار على فكرة كبيرة تبدو واحدة، نشأت منها كل أفكارها الأخرى وهي أن الله بسط هذا الكون لشيئين: الخير والجمال، لهذا فجميع كتاباته ذاهبة في اتجاه إقامة صرح من صروح الخير أو الإطاحة بعرش من عروش البشر، لإقامة تمثال من تماثيل الجمال أو لهدم صنم من أصنام القبح، وهو بذلك ملتزم أشد ما يكون الالتزام بكل العناصر الأدبية. والعمل الأدبي عند الرافعي بهذا الشكل هو ما عبّر عنه "تودوروف" بالقانون الشعري: "العمل الأدبي تعبير عن شيء ما، غاية الدراسة هي الوصول إلى هذا الشيء عبر القانون الشعري"".[1]

يتضح لنا من قول أقلمون أن الرافعي استطاع أن يثبت نفسه في وقت كان الوسط الأدبي يحفل بأسماء بارزة لا تزال تعيش معنا بأعمالها الخالدة، وامتاز عنهم بالتزامه بجميع العناصر الأدبية.

واستمر الرافعي يبدع فنونا من القول والمعاني ،حتى وجد نفسه قد صار أديباً مؤهلاً يملأ عين الدنيا وسمعها،ليستخرج من ذات نفسه حكماً يقضى له حق الأدب على العالم، وكيف يكون الأديب بإزاء صور العالم وأحاسيسه وأذواقه وأخيلته:«والجمال في التعبير الذي يتأدى به، والحق في الفكر الذي يقوم عليه، والخيرُ في الغرض الذي يساق له....[2] وبهذا يهب لك الأدب تلك القوة الغامضة التي تتسع بك حتى تشعر بالدنيا وأحداثها مارّة من خلال نفسك، وتحس الأشياء كأنّها انتقلت من ذواتها، وذلك سر الأديب العبقري».[3]

---

[1] – **عبد السلام أقلمون، شعرية الإصلاح في أدب مصطفى صادق الرافعي، مجلة حراء، اسطنبول،العدد السابع، أبريل،يونيو،2007م،ص، 58و59.**

[2] – **مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج3، ص ، 971و972.**

[3] –**المصدر نفسه، ص ،971و972.**

لقد استحق أدب الرافعي برأي عبد السلام أقلمون أن يحمل شعار «الأدب الإصلاحي، لأن وظيفة الإصلاح عنده لا تجور على أبنية الأدب وأنساقه، وليست حضـــنا أســـلوبيا للتبشـــير بالأفكار أو عربة تنقل الدعاوي والوصايا، بل هي معرض ينبسط فيه الأدب شكلاً وروحًـــا، منها يتشرب القارئ معاني الإصلاح الجميلة في حلل من أنساق الفن الجميلة».[1]

يعتبر الرافعي أن الأدب حتى تكون وظيفته إصلاحية، يجب أن تزاوج بين الشكل والروح من خلال عرض معاني إصلاحية في انساق فنية جميلة.

ويرى عبد السلام أقلمون أن سبب تألق أفكار الرافعي أنها أفكار لها صلة بواقع الإنســـان والمجتمع أنذاك، حيث يقول: «قدم لنا الرافعي المعاني والأفكار في الأسلوب الأدبي، فـــازدادت أفكاره تألقاً وتوهجًا، كونها أفكارًا واقعية ذات صلة كبيرة بالإنسان والمجتمـــع، نشـــأت في ظروف صعبة، مر بها البلد، فنمت مقالاته الأدبية وزامنت الوقائع والأحداث ولكنه ظل أديبًـــا يحمل رسالة الأدب، ومفكرًا يضع فكرًا أديبًا وأدبًا فكريًا، واستطاع الرافعي أن يفـــرغ كـــل شحنات الجمال التي يتسقطها من هنا ومن هناك، ليملأ بها وجدان القراء فيزدادوا بأدبه فضيلة وجمالاً».[2]

ونختم القول بشهادة "محمد عبد المنعم خفاجي" بحق الرافعي يقول فيها: «وكان الرافعـــي بحق وكما وصف به، كلمة إسلامية جامعة، تتلخص في الدعوة الصادقة إلى أصول الإســـلام وفضائله، وما[3]برح أدبه صفحة ناصعة من صفحات الإسلام، وحجة باهرة من حجج الشرق والعروبة، في عصر شحيح بالأقلام المناضلة، وليس في الأدب الحديث مثيل لأدبه الإسلامي، الذي حمل فيه لواء الدفاع عن الإسلام والشرق بعامة، كما حمل فيه لواء الدفاع عن وطنه مصر

[1] – **عبد السلام أقلمون،شعرية الإصلاح في أدب مصطفى صادق الرافعي، ص، 60و61.**

[2] – **المرجع نفسه، ص61.**

[3] – **محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ج2،ص370.**

بخاصة، وكان أعظم ما يكون قوة وانطلاقة حجة، حين كان يكتب عن الإسلام، شــارحا أو مدافعًا». [1]

يرى الرافعي أن السلام لن يعم في العالم إلاّ إذا عمّ الإسلام، ولا يمكن أن تتحقق النهضة في الوطن العربي إلاّ بالعودة إلى تعاليم الدين الإسلامي وأخلاقه وقيمه. [2]

2-اللغة:

إنّ لغة الرافعي لغة متينة، فصيحة، لا غرابة فيها، غير مخالفة للقياس اللغوي، التــزم فيهــا بقواعد النحو العربي، فجاءت ألفاظه وعباراته خالية من التعقيد اللفظي والمعنّوي، حيث ذكــر العريان أنّ الرافعي «كان إلمامه بمتن اللغة، وإحاطته بأساليب العربية ومعرفته بالفروق اللغوية في مترادف الكلام، التي قدمت له عونًا كبيراً على البلوغ بعبارته هذه المبلغ من البيان الرفيع». [3]

ويرى طه حسين أن لغة الرافعي لغة شاعرية يكثر فيها المجاز، ويجد ذلك واضحا في "حديث القمر" و "ورسائل الأحزان" و "السحاب الأحمر"، ويرى أن توسعه في المجاز أفضــى بــه إلى الغموض والتعقيد، حيث يقول:

«امتازت لغة الرافعي بأنها عاطفية شاعرية تستخدم المجاز، وأما المجاز وإكثاره منه، فحســبك شاهدًا عليه أن تقرأ كتبه الثلاثة. [4]

(حديث القمر) و (رسائل الأحزان)و (السحاب الأحمر)، فإنك لا تعدم فيها فنونا من المجاز متداخلة آخذا بعضها يحجز بعض يسلمك الواحد منها إلى الآخر.

---

[1] – **المرجع السابق ، ص370.**

[2] – **ينظر: المرجع نفسه ، ص370.**

[3] – **محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص226.**

[4] – **محمود شاكر خيون، نقلا عن،طه حسين، حديث الأربعاء ، دار المعارف القاهرة، ط12، ج3، ص124.**

وربما أفضى به التوسع في المجاز ومخاطرته فيه ومداخلة بعضه في بعض إلى درجة من الغموض والتعقيد، الذي اتهمه به طه حسين». [1]

ورَدَّ الرافعي على طه حسين في اتهامه له في رسائله التي وجهها إلى أبي ربة، يقول فيها:«ومن هنا كان الذين لا معرفة لهم بفنون المجاز و لا ميل لهم إلى الشعر لا يميلون إلى كتابتي و لا يفهموها حق الفهم، مع أن المجاز هو حيلة كل لغة». [2]

يرى الرافعي أن جهل "طه حسين" لفنون المجاز والشعر سبب لعدم فهمه لكتاباته.

وهناك صفة عامة في لغة الرافعي الشعرية هي أنها لا تكشف نفسها بسهولة، بل تقتضي التأمل: «فالقصيدة الغزلية، مثلاً تتضمن المعنى الدقيق اللطيف الخلاب الساحر الذي يقول له القارئ: أريد أن أفهمك فيرد عليه: تأمل تفهم». [3]

في حين يرى " أحمد حسن الزيات "أنّ الرافعي تَبَسَطَ أسلوبه ومال إلى الوضوح في كتاباته، فراح يخفف من ذلك الغموض، ويظهر الفرق جليا بين أسلوبه في "وحي القلم" و أسلوبه في كتبه الأخرى، حيث يقول: «إنّ الرافعي عندما كتب في " وحي الرسالة" وصار له جمهور، تبسط في أسلوبه ومال إلى الوضوح، وأخذ يبدي اهتماما وعناية يجعل الألفاظ والعبارات واضحة، لأنه أدرك حق قرائه عليه، فخفف من ذلك الغموض،ومن هنا ظهر الفرق بين كتابه:" وحي القلم" وبين غيره من كتبه». [4]

لغة الرافعي في كتابته، هي لغة التراث العربي القديم، وكان حريصًا على تلك اللّغة العربية الأصلية، فجاءت لغته متينة وألفاظه قوية وكلماته محكمة، وعباراته جميلة، أشبه بعبارات الأولين، كونه تأثر كما ذكرنا بأسلوب الجاحظ وابن المقفع تأثرًا كبيرًا، وبالشعر العربي،

---

[1] – **المرجع السابق ، ص124.**

[2] – **محمود أبورية، من رسائل الرافعي، ص62.**

[3] – **مصطفى صادق الرافعي، رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، مطبعة الهلال، مصر،د.س،1924م، ص36.**

[4] – **أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة، ص441.**

فاستخدم الكثير من الألفاظ والعبارات التي تشبه عباراتهم، حيث في (وحي القلم) شاهدًا من شواهد كثيرة، تفصح عن مفردات وتراكيب مما شاع في الأدب العربي في عصور مجده الزاهر، وما أسهل ما تذكرنا لفظة (تحمحم)[1] في نص الرافعي ببيت عنترة بن شداد:

فَأَزْوَرَّ مِنْ وقع القَنَا بلَبانِهِ ✕ وَشكَا إلَّي بعبرة وَ*تَحَمْحُمِ[2]

وأكثر الرافعي من أسلوب ابن المقفع في مؤلفاته، في قصة (حديث قطين) ومقالته (كُفر ذبابة) في وحي القلم على سبيل المثال[3]، بل يذكر لنا العريان بأن «كليلة ودمنة كتاب في العربية نسيج وحده، لم يستطع كاتب من كتاب العربية أن يحاكيه منذ كان ابن المقفع، إلا مصطفى صادق الرافعي، وكانت أول هذه المحاكاة اِتفاقًا ومصادفة، في مقال من مقالات الرافعي

في "طه حسين"، إذا أراد أن يتهكم بصاحبه على أسلوب جديد».[4]

يبدي العريان إعجابه بأسلوب الرافعي فيرى أنه الوحيد الذي تمكن من محاكاة كتاب "كليلة ودمنة" في مقالاته التي يتهكم فيها طه حسين.

«وكانت عناية الرافعي بالتراكيب أكثر من عنايته بالألفاظ، وهذه ظاهرة واضحة في كل ما كتب، وكان يعدّ الكتابة هندسة كهندسة البناء سواء بسواء، فالألفاظ هي الألفاظ، وإنما الشأن

---

[1] – ينظر:محمود شاكر خيون ، الجمال في أدب الرافعي، ص**144**.

[2] – الزوزني،شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الطلائع القاهرة، **2005**، ص**142**.

* الإزورار:الميل *التحمحم:من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له، يقول مال فرسي مما أصابت رماح الأعداء صدره ووقوعها به وشكا إلي بعبرته وحمحمته، أي إلي وحمحم لأرق له .انظر شرح المعلقات.

[3] – محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي، ص**144**.

[4] – محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص**165**.

في نسقها وتآلف[1] بعضها مع بعض، أو على حد قوله:«إنّ الخاصية في هذه اللغة ليست في ألفاظها، ولكن في تركيب ألفاظها».[2]

لقد اعتبر الرافعي الكتابة هندسة معمارية منتظمة، فكان مهتما بالتراكيب أكثر من الألفاظ، يجب العناية بتناسق الألفاظ وتآلفها.

وتوسع الرافعي كثيرًا في مذهب بناء الجملة، ولو أراد أحد «أن يتتبع ما أجدّ الرافعي على العربية من أساليب القول لأخرج قاموسًا من التعبير الجميل، يعجز أن يجد مثله لكاتب من كتاب العربية الأوليين».[3]

- ولقد اعتبر العريان أن الرافعي من خلال مذهبه في بناء الجملة، ابتكر أساليب جديدة جميلة غير معهودة من قبل.

ولقد قال "طه حسين" كلمة حق في هذه اللغة وهو خصمه العنيد: «والحق أنّ الذين يُعلمون هذه اللغة كما يُعلمها الأستاذ الرافعي قليلون جدًا، وأحسبهم يحصون، والحق إن الذين يظهرون على أسرار اللغة ودقائقها كما يظهر عليها الأستاذ الرافعي قليلون جدًا، وأحسبهم يحصون أيضًا».[4]

3- منهجه في الكتابة:

- يرى العريان أنّ الرافعي كان يأخذ الكتابة على محمل الجدّ، فالكتابةُ وفق وجهة نظره فنٌ قائمٌ بذاته، فهي ليست مجرد عاطفة ومعنى وفكرة،وإنّما يجب أن يكون أسلوبا جيّدًا.«كان الرافعي يأخذ الكتابة مأخذ الجد، وما كان يرضى فيها بالسهولة التي تفضي إلى معنى سقوط

---

[1] - محمود شاكر خيون،الجمال في أدب الرافعي، ص145.
[2] - مصطفى صادق الرافعي، تحت رايه القرآن المعركة بين القديم والجديد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت،1974م،ص19.
[3] - محمد سعيد العريان،حياة الرافعي، ص226.
[4] - طه حسين، حديث الأربعاء، ص122.

المبنى والمعنى، ولم يرضى قط أن يشعوذ على قرائه بكلام غير محرر، ليملأ به فراغًا من صحيفة، فلم تكن الكتابة عنده مجرد عاطفة وفكرة ومعنى، بل كانت فنًا وأسلوبًا».[1]

تعددت موارد الثقافة عند الرافعي، فكان لها أثر واضح في لغته التي عرف بها، والنظر إلى ما كان يوصي به الرافعي تلميذه أبا رية في رسائله، يجزم بسعة اطلاع هذا الأديب على التراث العربي الإسلامي، وتمكنه منه،وما يمتلكه من ثقافة لغوية، كان لها الأثر البالغ في امتلاكه ذلك الأسلوب البليغ.[2] فيقول: « فإذا أو صيتك فإني أوصيك أن تكثر من قراءة القرآن ومراجعة الكشاف للزمخشري، ثم إدمان النظر في كتب الحديث كالبخاري أو غيره، ثم قطع النفس في قراءة آثار ابن المقفع، ثم رسائل الجاحظ، وكتاب البخلاء، ثم نهج البلاغة، ثم إطالة النظر. في كتاب الصناعتين للعسكري والمثل السائر لابن أثير، ثم مراجعة أساس البلاغة للزمخشري، فإن نالت يدك مع ذلك كتاب الأغاني أو أجزاء منه والعقد الفريد، وتأريخ الطبري فقد تمت لك كتب الأسلوب البليغ».[3]

ويراه شوقي ضيف من المحافظين على التراث العربي، وتأثره بهذا التراث ساهم في امتلاكه، ملكة الكتابة، حيث يقول: «ونراه منذ احتدمت المعركة بين القديم والجديد في سنة 1923م، يحمل لواء المحافظين مدافعا بقوة عن مثله العربية الإسلامية، فقد نهل الرافعي من القرآن الكريم ومن تراث العرب وبيان فضائحهم منذ صباه، فتكونت لديه ملكة قوية في الكتابة، فجاء أسلوبه كذلك»[4] و قد قال ابن خلدون: «وعلى قدر جودة المحفوظ،وطبقته في جنسه،

[1] – محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص222.

[2] – ينظر: محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي، ص147.

[3] – محمود أبورية، رسائل الرافعي، ويليه (الرسائل المتبادلة بين شيخ العروبة أحمد زكي باشا والأب انستانس ماري الكرملي، الدار العمرية، 2006، ص ،40و41.

[4] – شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ،244 .

وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ، ثم تكون جودة الاستعمال من بعده، ثم إجادة الملكة من بعدهما...لأن الطبع إنما يُنسج على منوالها».[1]

يرى ابن خلدون أنه حسب جودة المحفوظ ،تكون جودة الملكة ،فتظهر جـودة الاستعمال وبالتالي إجادة الملكة، ومن هنا كان امتلاك الرافعي لملكة الكتابة.

ويرى شوقي ضيف أن الرافعي كان مؤمنًا أن نهضة العرب لن تتحقق إلا من خلال تشييدها على أسس صحيحة قوامها الدين وعربيته الفصحى السليمة.«بمثل كتابه "تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد" الذي نشره في 1926م عقب ظهـور كتـاب طـه حسين"في الشعر الجاهلي» وفيه صوّب سهامه إلى كل ما في هذا الكتاب من أراء وأفكار، وتحول إلى المجددين في الشعر ممثّلين في عباس العقاد يرميهم بأقذع صور الهجاء في كتابه" على السّفود" وظلّ بقية حياته ثابتًا للمجددين من الشعراء والكتاب جميعًا، ينقدهم نقدًا مرًّا، كما ظل مؤمنًا بالميراث العربي في لغته وآدابه وأن نهضة العرب لا تقوم إلا على أساس وطيد من الدين وعربيته الفصحى السليمة».[2]

- يرى محمد عبد المنعم خفاجي أنّ الرافعي من قادة البيان والرأي ظهر في وقت كان الأدب متأثرًا بمدرستين، الأولى كانت تحاول إحياء اللغة وإنهاضها من كبوتها، أما الثانية فكانت متأثرة بالآداب الأوربية فضعف أسلوبها ولغتها، فكان الرافعي متأثرًا بالمدرسة الأولى من خلال نهله من الأدب العربي القديم.[3]

أما حنّا الفاخوري فيرى أنّ الرافعي « كَوَّنَ لنفسه نهجًا خاصًا به عُرف بمـذهب" الرَافعيّة "وغلبت عليه نزعة القديم... وحاول أن يسبر أغوار[4] الضمير الإنساني وأن يزيح الستار عن

[1] – ابن خلدون، المقدمة،دار إحياء التراث العربي، بيروت،1987م، ص578.

[2] – شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص، 244و245.

[3] – – ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ص، 364و365.

[4] – حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب الحديث، ص314.

مكنونات القلب الإنساني، ويعالج مشاكل الحياة، وهو الحق يقال كاتب متشبع من اللّغة ومن أساليب الأقدمين ،واللّغة طيعة بين يديه، يُهيمن عليها هيمنة اقتدار».[1]

- ومن هنا يمكن أن نخلص إلى أن أسلوب الرافعي متميز حيث كَوَّنَتْ عباراته وتراكيبه التي استخدمها طابعه الخاص، ومن خلال دراستنا لأسلوبه توصلنا إلى مجموعة من السمات نوجزها في الآتي:

- الاحتفال بالمجاز والعناية به.

- العناية بالتراكيب أكثر من العناية بالألفاظ ، ومراعاة تناسبها وموسيقاها.

- اقتباس لفظة أو عبارة من القرآن الكريم، أو جملة من الحديث النبوي الشريف، أو مثل مشهور، أو بيت شعر مأثور.

- أفكاره كانت تعالج قضايا واقعية، فكانت نظرته إصلاحية، ممزوجة بالطابع العربي الإسلامي.

- إيمانه بضرورة الكدّ والاجتهاد في الكتابة، ومعاودة النظر والتنقيح، وإنكار مذهب السهولة والاسترسال فيه.

- تأثر الرافعي بمذهب الأقدمين، فلم يقتصر على تقليد أساليبهم، وإنما سعى إلى التجديد الدائم في الألفاظ والأساليب، على أن يكون وفق قواعد اللغة وأوزانّها.

المبحث الثاني : أنواع المقالة عنده

لم يدع الرافعي نوعاً من أنواع المقالة إلا وكتب وأبدع فيها، وترك فيها بصمته التي تميزه عن غيره من أدباء وكتّاب جيله، وسنعرض فيما يلي بعض أنواع المقالة التي كتب فيها.

[1] – المرجع السابق ، ص314.

المطلب الأوّل: المقالة الأدبية

إنّ المقالة الأدبية، تتناول دراسة ظواهر أدبية مختلفة، ونظريات فلسفية اجتماعية، حيث يتجلى من خلالها أسلوب الكاتب واضحا من خلال تعبيره عن تجاربه وعواطفه، فيقول في هذا مرسي أبو ذكري:«المقالة الأدبية هي التي تدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاها أو أثرًا في الأدب والنقد، أو يتناول الفنون الجميلة والنظريات الفلسفية الاجتماعية التي ترسم خطى المثل العليا: الخير والحق والجمال، وتتميز بأسلوب كاتبها، وانطباعاته وتجاربه الوجدانية والنفسية، وخلوه من عيوب الأداء اللغوي».[1]

ويعد الرافعي من أبرز كتاب هذا النوع، ومن ذلك مقالته في"أمير الشعر في العصر القديم" وفيها يبيّن كيفيّة التجديد في مثل قوله:«التجديدُ في الأدب إنّما يكون من طريقتين، فأمّا واحدة فإبرازُ الحيّ في أثار تفكيره بما يخلقُ من الصُّور الجديدة في اللّغة والبيان، وأمّا الأخرى فإيداعُ الحيّ في آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النّقد المستحدثة وأساليب الفنّ الجديدة، في الإبداع الأول إيجادُ ما لم يوجد، و في الثاني إتمام ما لم يتمَّ فلاجرْمَ كانت فيهما معًا حقيقة التجديد بكلّ معانيها، ولا تجديد إلاّ من ثَمَّةَ، فلا جديد إلاّ مع القديم».[2]

لقد تناول الرافعي في هذه المقالة ظاهرة أدبية، ألا وهي "كيفية التجديد في الأدب"، فيكون التجديد برأيه إمّا عن طريق الخلق والابتكار في اللغة والبيان، أو عن طريق إحياء القديم والتجديد فيه واستخدام أساليب فنية جديدة، فيبدو لنا أسلوب الرافعي واضحًا من خلال التراكيب التي استخدمها وأفكاره التي طرحها.

وأيضا مقالة الرافعي التي يشيد فيها بكتاب "البؤساء" الذي اختصر له حافظ إبراهيم الشاعر ترجمة عربية فقال"«....ما البؤساء في ترجمتها إلا فكرُ فيلسوف تعلّق في قلم شاعر، فانعطفت

---

[1] – مرسي أبو ذكري ،المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ص80.

[2] – مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج3، ص332.

عليه حواشي البيان من كلّ نواحيه، وجاءَ ما تدري، أَشِعْرًا من النثر أم نثـــراً مـــن الشـــعر، وخرجت به الكتابة في لون من الصفاء والإشراق كأنّما تنحلُّ عليه أشعة الضحى.

ترجم حافظ فوضع اللغة بين فكره ولسانه، ووقف تحت سحابةٍ من السُّحب الـــتي خفـــق عليها جناح جبريل، فما تخلو كتابته من ظِلّ يتنفس عليك برائحة الإعجاز؛.... ».[1]

إنّ الرافعي من خلال هذه المقالة، نجده يمدح ويثني ويذكر محاسن أسلوب حافظ إبراهيم، فمن جودته –حسب رأيه–بصعب عليك تمييزه إن كان شعرًا أو نثرًا.

المطلب الثاني: المقالة الاجتماعية

تعالج المقالة الاجتماعية موضوعاً من صميم الواقع، حيث تنتقد العادات والتقاليد الســيّئة، وتحث على كل ما هو خير وتنهى عن كل ما هو شر، ويكون دور الكاتب فيها عن طريـــق المشاركة فيما يدور حوله، عن طريق الملاحظة الدقيقة والاتزان في إصدار الأحكـــام ووضـــع الحلول.[2]

يرى مصطفى نعمان البدري، أنّه بسبب الأوضاع الاجتماعية السيئة التي كـــان يعيشـــها العرب في ذلك الوقت فضلا عما كان للترجمة منْ آثار على أدب الغرب، ولا سيّما "فيكتـــور هيجو" في البائسين، وتولستوي في الكادحين، وشكسبير في العامّة، وجوته في الذات، وغيرهم في الأداء النفسي، وفيما حاولوه، ... حيث تأثر مصطفى لطفي المنفلوطي بهم وأخذ ينسج على منوالهم ويصوغ عباراتهم، ونجد الرافعي أيضا من بين هؤلاء الأدباء الذين تأثروا بهذا النوع من أدب الغرب.[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص**340**.

[2] – ينظر: مرسي أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ص**74**.

[3] – ينظر: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتحديد، ص**197**.

– كما يرى أيضا أنّه كان لجمعية الإحسان ولسنيّ الحرب، التي مرت بها الديار الإسلامية أثرها في اتجاهه إلى هذا النوع من المقالة مبديا ومعرضا أفكاره حول الفقر والفقراء و في هذا نجده يقول: «و كان لجمعية (الإحسان) منبرها الذي كان الرافعي يقف عليه خطيبًا ومحدثاً في معظم الأسواق التي تعتمدها الجمعيّة للأغراض الاجتماعية التي تتوخّاها، ومنها مساعدة الفقراء والمعوزين من اليتامى والمساكين.

ثم لما كان من سنيّ الحرب السُّودِ التي مرّت بها الديار الإسلامية في ضراوتها ومسبغتها ومتربتها فقد راح بكتب المقالات الاجتماعية في الفقر والفقراء أولاً، وقد أدارَ الموضوع من حول المبادئ والنّظم التي مرّت بها البشرية، في معالجة هذه الظاهرة حتّى عصرنا هذا عصر الاشتراكية».[1]

«فوجد أنّها جميعاً لم تستطع تحويل هذا الظاهرة أو إنهائها، وإنّما استطاع النظام الإسلامي أن يخفّف من وَطْأتِها، ويحصرها في أضيق نِطاق، حين آثر أن لا يكون المال دولة بين الأغنياء،

فحدّ بذلك الطغيان، وجعل الزكوات و الكفارات ومصالح الأمّة المرسلة أساس الحياة الكريمة ومادّة إصلاح في كلّ اضطراب».[2]

– حيث يقول الرافعي في هذا الصدد، في مقالته التي عنونها بـ "الفقر والفقير"، فنجده يعرض فيها حقيقة الفقير والغني حسب نظره حيث يقول" « إنّ أفقر الفقراء ليس هو الذي لا يجد غذاءَ بطنِهِ، ولكنّهُ الذي لا يستطيع أن يجد غذاء شعوره، فلا تحسبوا أنّ مع جنون الضمير ومرضه سعادةً وراحة، لأنّ لذة المال لاتتجاوز الحواس، فهو يشتري لها كل شيءٍ مما تشتهي، ولكنّه لا يستطيع أن يُنيل القلب شيئًا إلاّ إذا اشترى له الخير والفضيلة، والغنيّ الذي يمنع الفقراء ماله قد يزيد فيه ولو حكما بمقدار ما يمنع، بضعة دراهم أو بضعة دنانير، ولكنه يزيد ضميره

[1] – **المرجع السابق ، ص198.**

[2] – **المرجع نفسه ، ص 198.**

جفاءًا بالقسوة والغِلْظة ونسيان الفضيلة. و لا يزال على ذلك حتى يمرّ به يومٌ يفقد فيه ضميره كلّ شعور بالخير فيفقد معه كلّ شعور بلذة النفس التي هي أقرب المعاني إلى معنى السعادة».[1]

- فالفقير في نظره ليس الذي لا يملك قوت يومه، إنّما الفقير هو الذي لا يملك ضميرًا أصـــلاً، فلا يستطيع تحقيق اللذة النفسية وإن حقق اللّذة الجسمية،فالسعادة في نظره عائـــدة إلى شـــيء واحد، ألا و هي اللّذة النفسية التي تنمو في ظلال الضمير. أما الثانية فهي عائدة إلى المـــال ولا تتجاوز الحواس، والغني الجامع المانع فماله يزيد، ولكن ضميره ،لا يزيده إلا بعدًا عـــن الحيـــاة ونسيان الفضيلة، فلن يجد معنى من معاني السعادة حتى لو أباح لنفسه كل شهوات الدنيا.

«أنظروا في باطن الإنسان بالفضيلة التي هي من نور الله، وبالحقيقة التي هي من نور الطبيعة، فإنّكم لا ترون حقيقة الغني تبتعد عن حقيقة الفقر إلاّ بمقدار ملءِ هذه المعدة!».[2]

و لم يقف الرافعي عند هذا الموضوع فحسب فقد تطرق إلى موضوعات شتى مست بدقـــة قضايا المجتمع منها: الإحســـان الاجتمـــاعي، الـــزواج و المهـــر* ثبـــات الأخـــلاق**، المنافق***،... وغيرها من المواضيع.

المـــطلـــــــــب الثالـــــــث: المقـــــــالة العلـــــميّة

التي تعرض نظرية من نظريات العلم، أو مشكلة من مشكلاته عرض موضـــوعيا صـــرفا، بأسلوب يتميّز بالدقة في تحديد المفاهيم، ويعتمد على الأدلة والبراهين والحجم القاطعة ويُـــدَعَّمُ

---

[1] – مصطفى صادق الرافعي، كتاب المساكين، ص86.

[2] – المصدر نفسه ، ص89.

* – "قصة زواج وفلسفة المهر" وحي القلم ، الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط2 ،2005م، ج1، ص ، 103و112

** – "ثبات الأخلاق، وحي القلم،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2،2005م،ج2،ص ،62 –67.

***– "المنافق"، السحاب الأحمر، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ط1،2002م، ص –ص،52–57.

في الغالب بالأرقام والإحصائيات والشواهد والتجارب. وتمتاز بالوضوح والاستقصاء ،والدخول في الموضوع مباشرة، ووضع المصطلح العلمي في المكان اللائق به.[1]

وقد كان "للمقتطف" في كتابة المقالات العلميّة أثرها في الكتّاب وطلائع النهضة الذين طوّرُوا العربية، وعملوا على إصلاحها فأغنت الجامعات بها عوضا عن الدراسة العلميّة بلغات المستعمرين وأتباعهم.[2]

وقد تأثر الرافعي بهذه الناحية أيّما تأثر، فتبنى الكثير من التفسيرات العلميّة والنظريات في أدبه وفنّه، فصاغها بأسلوبه وحسب ذوقه الأدبي، ولعلّ من أهم مقالاته العلميّة التي كتبها في هذا الصدد، كلامه عن العرب، الذي صدّر به كتابه "تاريخ آداب العرب.[3]

وقوله فيهم: « العربُ جيل من النّاس، تدلت عليه الشمس منذ القدم في هذه الجزيرة التي كأنّها قطعة انخزلت مع الإنسان الأول من السماء، فلا يزالُ أهلها أبعدَ النّاس مترعًا في الحرّية الطبيعيّة، وأشدهم منافسة في مغالبة الهمم، كأنّما ذلك فيهم ميراث الطبيعة الأولى، فهم منه ينبتون وفيه يموتون».[4]

فهو يرى العرب قوماً يختلف عن الأقوام الأخرى، وأقدمهم في الوجود، فهم في نظره مميزون في عاداتهم وتقاليدهم وفصاحتهم و في جودة قرائحهم، فهو يراه ميراث، ينتقل هذا الميراث من جيل إلى جيل.

[1] – مرسى أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ص ، 80و81.

[2] – ينظر: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص ، 202 و203.

[3] – ينظر : المرجع نفسه، ص،203.

[4] – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، راجعه وضبطه، عبد الله المنشاوي، مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان،د.ط.د.س. ج1،ص34.

ويزيد علمًا وإعجابًا بهم وإكبارًا لمآثرهم في مثل قوله:«سكان الفيافي* وتربية العراءِ، ينبسطون مع الشّمس، ويفيؤونَ مع الظلّ، ويطيرون في مهبّ الهواء، بل أولادُ السّماء، ما شئت من أنوف حَميّة، وقلوب أبيّة، وطباع سيّالة. وأذهان حداد، ونفوس منكرة ،....وقد وقف العلميّ أمام بقاياهم موقف العجب الذي ينبهرُ به العلماء،....

وقد أصبحت بقاياهم الضاربة في بوادي العربيّة، ومصر والشام لهذا العهد موضع العَجَب من عُلماء الطبائع حتى أجمعوا على أنّه لا نِدَّ لهذا الجنس البشري في جميع السلالات البشرية، من حيث الصفات التي يتباين فيها أجناسُ البشر خَلْقًا وخُلقًا،...حتى صرَّحَ بعضهم بأنّ هذه السُّلالة تسمو على سائر الأجيال».[1]

يمدح الرافعي العرب، حيث ذهب يَعُدُّ صفاتهم الحسنة من شهامة وشجاعة وبسالة...وغيرها، حيث وقف العلماء منهم موقف العجب أمام آثارهم التي تركوها، فيراهم جنس بشري لا مثيل له في الأجناس الأخرى خَلْقًا وخُلُقًا، حتّى إنهم في نظره جيل يسمو على سائر الأجيال.

ويفسّر ذلك تفسيرًا علميّا بقوله:

«... بالنظر إلي هيأة القُحْفِ، وَسِعَةِ الدّماغ، وكثرة تلافيفه، وبناء الأعصاب وشكل الألياف العضليّة، والنسيج العظمي، وقوام القلب، ونظام نبضاته، فضلا عمّاهم عليه من ملاحةِ السّحنةِ، وحسن التقاطيع، ووضوح الملامح،... وفضلاً عمَّا في طباعهم من الكرم والأنَفةِ، والأريحيّة، وعزّة النفس، والشجاعة».[2]

المطلب الرابع: المقالة السياسية

* – الفيف:المكان المستوى أو المغارة لا ماء فيها، وفياف في الأرض مختلف الرياح.

[1] – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص34.

[2] – المصدر نفسه، ص34.

ويعرفها مصطفى نعمان البدري أنّها «تتناول مشكلة حزبية ، أو فكرة سياسية أو وطنية أو دولية، ويهاجم الاستعمار على اعتدائه على الحريات، ويبصر الجمهور بما يحيط ببلاده، ويستنيره للذود عن مقدساته بأسلوب سهل بعيد عن الزخرفة، ويعتمد فيه إثارة العواطف»[1].

ويرى أيضا أنّه كان للرافعى رأيه الخاص في السياسة، حيث دعا لإقامة الجامعة من خلال تبنِّيه لفكرة[2] وطنية وأيضا كانت له أراء سياسية حول الحركة الثورية العربية في الحرب الأولى وغيرها من الآراء التي كَتَمَ عنها خوفا على وظيفته وخوفا من الرقيب لمحاولاته الصريحة فيها.[3]

ويقول نعمان البدري أنّ عبد الرحمان الرافعي –المؤرخ رحمه الله- حدثه عن مشاركة الرافعي في تحرير "الأخبار" التي أعاد بها أمين الرافعي حياة "الحزب الوطني" إبّان الحركة الشعبية المصرية،[4] ومن نشره مقالاته "صيحة الحق" التي قال فيها:

«يريد الانجليزُ أن يفهمونا أنّ ما لم يكن واقعًا فهو مستحيلٌ، ولا يمكن أن يقّعَ،... وأنهم إذا لم يضعُوا أيديهم على هذه الأمة رفعَ الله يدهُ عنها، لا يبالي في أيّ شيءٍ هلكت، وأنّ صفحة (كيرزن) هي خاتمة الجزء الأخير من كتاب السياسة المصريّة. ليس بعدها من كلمة إلا قولهم ثمَّ والحمد لله.

هذا كلّه يكون صحيحًا لا مزيّة فيه لو أصبحَ الفلكُ الأعلى مستعمرة إنجليزية، ولو خفقت الراية الإنجليزية مع راية الصبح في يومٍ واحدٍ،... ولكن هيهاتَ هيهَات... ذلك حكمُ اليوم وسنستأنفه إلى محكمة الغد.

---

[1] – مرسي أبوذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ص78.

[2] – ينظر: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص207.

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 207 و208.

[4] – المرجع نفسه، ص208.

أيُّهَا الانجليز: إنّ في أيديكم القوة ولا إيمان فيها، وعندنا الإيمانُ ولا قوّة في أيـــدينا...فـــألْقُوا حِبالكم وأسلحتكم،... فمصر هي بعينها الأرض التي كان فيها جنود "فرعون" وكان فيهـــا "موسى" وليس له من سلاح إلاّ إيمانُه».[1]

- الرافعي في هذه المقالة، يرى أن الانجليز تحاول تضليل الشعب المصري وإقناعهم أنّهـــا مـــن خلال قوتها وجبروتها ستكون الجزء الأخير من كتاب السياسة المصرية، فيخاطـــب الانجليـــز ويقول أنه مهما طال الزمن لابد أن تعود الأرض إلى أهلها، فرغم ما تملكه الانجليز من قوة ومن جنود إلا أنّها لا تملك الإيمان الذي هو ملك للشعب المصري وهو أقوى سلاح في وجه العدو.

- ويقول نعمان البدري، أنه كان للرافعي شأن في الحركة المصرية مثل ابن عمّه أمين، حيـــث كتب بعض مقالات لبعض الصحف مظاهرًا الحزب الوطني كمقالته في "جنود سعد"، وأيضـــا مقالته في كمال أتاترك الذي ألغى الخلافة الإسلامية « وكان له في الحركة المصريّة شأن، كما كان لابن عمّه أمين مكانٌ لا يُنسى، وكان قلمه يختلس الفرصة ولاسيّما في تلك المقالات التي يعقدها لبعض الصحف مظاهرًا الحزب الوطني كمقالته في "جنود سعد".

ومثال ذلك ماكتبه عشيَّة المناحة الكبرى التي أعقبت إقدام كمال أتاترك على إلغاء "الخلافة الإسلامية" وقطع كل صلة تربطُ الترك بالدّين العربي الحنيف، في مقالة تحت عنوان "يا غربـــة الإسلام في مواطنه"».[2]

وغيرها من المقالات السياسية التي توالت بعد ذلك.

المـــطلـــــب الخـــــامـــس: المقـــــالة الفكـــــريّة

يعرفها نعمان البدري أنّها تلك المقالة التي « تحتوي مضمونا اعتقاديًّا يلتزم به الكاتب عقيدةً وإيماناً، ويجعله سلوكًا لمنهاجه، حتّى يضحى أدبه بعد ذلك مذهبًا يُعرفُ به بين النّاس أو هـــو

[1] – نعمان البدري نقلا عن جريدة الأخبار المصرية 5 يناير –1922م.

[2]– مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص209.

يُفسّرُ بها جوانب من ذلك المذهب الاعتقادي الذي يتوفّر عليه، ويؤمن بجدواه،... ولاسيّما بعد أخذ الآداب الحديثة لبعض المناهج الفلسفية والعلمية، أو محاولة هذه الفلسفات ممارسة السياسة والاجتماع والفن». [1]

يبدو أدب الرافعي في معظمه مقالة فكريّة، ظهرت في أسلوبه و في طرحه لأفكار استمدها من الواقع الحق، وفي عروبته واعتقاده الديني ومذهبه القومي، وفي هذا يقول مصطفى نعمان البدري: «قد يكون أدب الرافعي كلَّه، أو معظمهُ مقالةً فكريّة توزَّعتها أساليب القول على مدى الأيام، فهي متّصلة الأسباب في فكرة مثاليّةٍ لها رصيدٌ أعظم من الواقع الحق، ومذهب قومي أثير، ومحتوى اعتقادٍ، لنا أن نسمّيه العروبة المؤمنة، بكلّ ما يعنيه هذا المصطلح من معاني الدعوة شرعة ومنهاجًا، وما يزينُ به الاعتقاد جمالاً وإيمانًا، وما يجتمع به السبيل والهدف والغاية بجميع مضموناتها من ثبات القيم، وشرف التناول، ونبل القصد في رفعة الضمير وتجلّي الوجدان على هدى ونور». [2]

- وهو يرى أيضا أن كتاب الرافعي "حديث القمر" كان دعوة عربية إلى الحبّ، وضمنّه رأي العربي المسلم في مسائل الإنسانية، التي وضعها أساسا لبناء حياة فكرية جديدة للأمّة، وتربية الأجيال الناشئة على هذه الأسس. [3]

- ويعدّ أيضا أن مقالته في الفقر والفقراء وخطبته في الإحسان الاجتماعي، وتحليله لأفكار النّاس، وموقفه من العقائد المحدثة والأفكار المستجدة،وأيضا كتابه "المعركة" و "وحي القلم" التي يمكن عدّها جملة صالحة من المقالات الفكرية التي كوَّنت مادة صالحة للمذاهب الجديدة والأفكار الغربية الوافدة إلينا. [4]

---

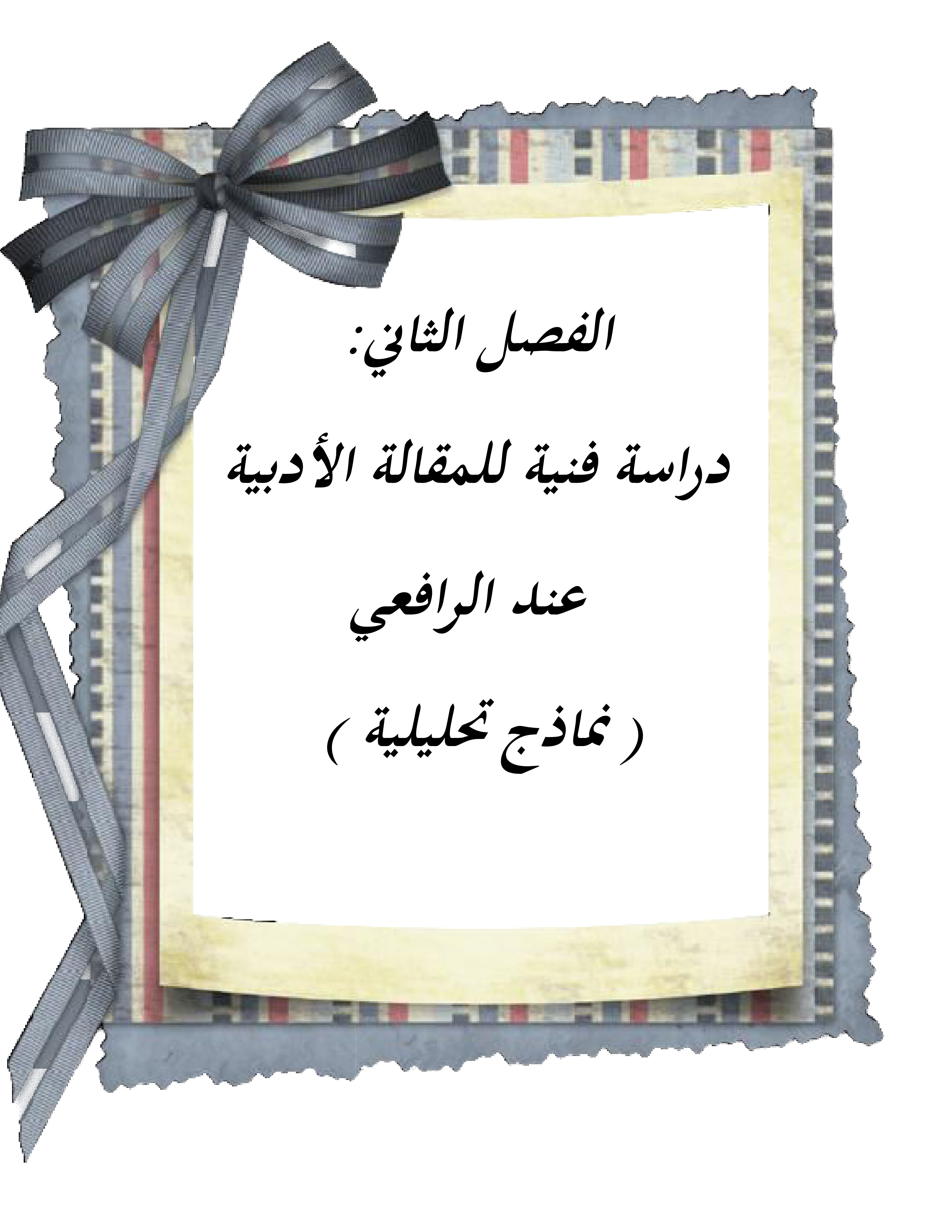
[1] – **المرجع السابق ، ص 213.**

[2] – **ينظر: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص 214.**

[3] – **ينظر: المرجع نفسه، ص214.**

[4] – **ينظر: المرجع نفسه، ص 214 و215.**

- وما نخلص إليه في الأخير من خلال ما تطرقنا له من أنواع المقالة عند الرافعي، أنّه رغم معالجته وتطرقه لموضوعات مختلفة في هذه المقالات، سواء كانت اجتماعية، سياسية، فكرية، أدبية أو علميّة، إلاّ أننا نجده قد ترك بصمته فيها واضحة من خلال أسلوب مُميّز، فيه بيان وبلاغة -غالبا- واضحة، وأفكار في معظمها يدعو فيها إلى الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي والتثبت بها والانتصار للقومية العربية، فهو بذلك لم يكن أديبًا فحسب، وإنما مفكرًا وفيلسوفًا وفقيهًا ومصلحًا اجتماعيًا.



الفصل الثاني:

دراسة فنية للمقالة الأدبية

عند الرافعي

(نماذج تحليلية)

المبحث الأول : مقالة – بـعد شـــوقــي-

هذه المقالة كتبها الرافعي بعد وفاة شوقي وصدرت في مجلة المقتطف، وخصها بالحديث عنـــه وعن شعره ومترلته .[1]

1-أراء بعض الشعراء في شعر شوقي بعد وفاته :

"كانَ يتوجّه الظن على شوقي رحمه الله، فيزعمُ الزاعمُ أن شوقي هو يُحيي شعره، وهو يرفع منه ، وهو يُشيعُ حوله قوة الجذب من مغناطيس الثروة والمكانة، وأن الرجل ما أوفى على الشعراء جميعاً لأنه أفضلهم ، بل لأنه أغناهم؛ ولا من أنه أقواهم قوةً، بل لأنه أقواهم حيلة؛ وأن الشاعر لو جاء يومه لبطل السحرُ والساحر، فترجع العصا وهي عصاً بعد أن انقلبت حية،ويئول هذا الشـــعرُ إلى حقيقته، وتتسم الحقيقة بسمتها؛ كأن شوقي كان يعملُ لشعره بقوة السموات والأرض لا بـــقوة رجل من الناس.

فقد ذهب الرجلُ إلى ربه، وخلا مكانه، وبطلت كلُّ وسائله، ونام عن شعره نومةَ الأبدية،وتركه لمـــا فيه يحفظه أو يضيعه إن كان فيه حق من الشعر أو باطل، وأصبح الشاعرُ هو ومالهُ وجاههُ وشعرهُ في حكم الكلمة التي يقولها الزمن، ولم تعد هذه الكلمةُ في حكمه؛ فهل أثبته الزمن أو نفاه، وهل سلَّم له أو كابره، وهل ردَّه في أغمار الشعراء أو جعل الشعراء بعده أدلة من أدلته ؟" [2]

***نظرة بعض الشعراء لشعر شوقي**: يزعمُ الزَّاعِمُ أنّ تفوق شوقي وبلوغه هذه المكانة الرفيعة بين الشعراء راجع إلى ثروته ومكانته الاجتماعية ،فكان تفوقه في نظرهم ليس لأنّه

---

[1]–مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ، ج3،ص313.

[2] –المصدر نفسه ، الصفحة عينها .

أقواهم قوة، بل لأنّه أقواهم حيلة؛ فكان مثل الساحر إذا جاء يومه انقلب سحره عليه ،فيرجع إلى حقيقته الأولى.

-إلاّ أن الرجل قد وافته المنية ، فرحل إلى ربه،تاركاً وراءه كل أعمـــــاله، فأصبح هو ومـــاله وجـــاهه وشعره في حكم الكلمة التي يقولها الزمن ، فهل خلده الزمن أو همشـــــــه مثل بعض الشعراء الذين بمجرد رحيلهم يرحل معهم شعرهم؟.

2-شوقي زعيم الشعر العربي :

"أول ما ظهر لي أن الزمن بعد شوقي أصبح أقوى في الدلالة عليه وأصدقَ في الشهادة له ، كـــما تكون الظلمة بعد غياب القمر شرحاً طويلا لمعنى ذلك الضياء، وإن سطعت فيها الكواكبُ وتـــوقَّد منها شـــــــيء وتلألأ شـــيء؛ فقد دلَّ الزمنُ على أن ذلـــك الشأن لم يكن لشـــاعرٍ كالشعراء يقال في وصفه إنه مفتنٌ مجيدٌ مبدع؛ ولكنه للذي يقال فيه إنه صوتُ بلاده وصيحةُ قومه .

كانت تحدُثُ الحادثةُ ، أو يتخالجُ الناسَ معنىً من الهمّ الذي يعمُّهم، أو يستطيرهم فرحٌ من أفراح الوطن ، أو يـــــــزولُ عظيم من العظماء فيزيد صفحـــةً في التـــاريخ، أن ينشأ كونٌ صـــــــغير من أكوان الحضـــــــارة في الشرق كبنك مصر، أو ترتجُّ زلزلة في الحـــــــياة العربية أينما ارتجَّت [1]،فإذا كلُّ ذلك قد وقع في الدنيا بهيئتين إحداهما في ذهن شوقي ، فيرسلُ قصيدَتَه الشرودَ السائرةَ داويةً مجلجلة ، فلا تكاد تظهر في مصر حتى تلتقي حولها الأفكارُ في العالم العربي كله ، فتكون شـــعـــراً من أسرى الشعر و أحسنه، ثم تجاوزُه فإذا هي صلةٌ من

[1]- المصدرالسابق ، ص**313**.

أقوى الصّلات الذهنية بين أدباء العـــربية وأوثقها ، ثم تجاوزها فإذا هي عاطفةٌ تجمع القلوبَ على معناها ، ثم تسمو فوق هذا كله فإذا هي من هذا كله زعامةُ مصر على الشعر العربي ."[1]

مكانة شعره : مكانة شـــوقي بعد وفاته لم تتغـــير، بل ظل نجماً ســـاطعاً يتـــلألأ في ســـماء الأدب،وظلّ الزمن يشهد للأجيال اللاحقة على تفرده وتميزه.

-شعـــر شوقي صـــوت لأبناء وطـــنه، يعـــبر عن فرحهم و حزنـــهم وعن أحوالهم،فضـــلا على تـــغـــنيـــه بالقومية العربية ، فكما كان شعره يلقى قبولاً كبيراً من أبناء وطنه ،كان أيضا يلقى رواجاً كبيراً في الوطن العربي ، فكان بذلك صوتُ بلاده و صيحة قومه ، وبفضله كانت زعامة مصر على الشـــــــعر العربي .

3-**شوقي تاريخ متميز :**

"وأعجبُ من ذا أن (شوقي) كان في العالم العربي كأنه عملٌ تاريخيٌ متميزٌ من أعمال مصر، غـــير أنه مسمًّى باسم رجل؛ وكان على الحقيقة لا على المجاز-كأن فيه شيئاً من هذه الروح التـــاريخية المتغلّبة التي تَخْلدُ بأسماء الآثار الفنية و تكْسبُها العَظمةَ في الوجودَين: من محلها ومن نفس الإنسان. وأعجبُ من هذا وذلك أني لم أر شعراً عربيّاً يحسُنُ في وصف الآثار المصرية ما يَحْسُن في وصفها شعرُ شوقي ، حتى لأسأل نفسي: هل تختار بعـــض الأشياء الـــــعظيمة وصـــفهاَ ومفسِّر عظمتها ، كما تختار المرأةُ الجميلةُ عاشقها و مُستجلى حسنها ؟"[2]

شوقي رمز مصر وتاريخها :شـــــوقي هو تاريخ مصر، ورمز من رموزها، فلا نجد شـــاعراً عربيّاً يجيد الوصف كما يجيده شوقي ويبرع فيه ،فهو يختاره كما تختار المرأة الجميلة عاشقها ومن يستحـــــق حبها وحسنها.

---

[1]-**مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ،ص314.**

[2]-**المصدر نفسه ،ص314.**

4-مصنع شوقي:

" وماَ بانَ شوقي على غيره إلا بأنه رجل أُفرِغَ في رأسه الذهنُ الشعريُّ الكبير ، فكان في رأسه مَصْنَعٌ عمالّه الأعصاب، ومادته المعاني، ومهندسُه الإلـــــهام؛والدنيا تُرسل إليه وتأخذ منه ؛ وعلامةُ ذلك من كل شاعر عظيم أن تضَعَ دنياه على اسمه شهادها له؛ ولهذا ما يكون بعضُ الشعراء أن اسمه في وزن اسم مملكة،فإذا قلتَ شكسبير و إنجلترا، فهما في العظـــــــــمة النـــــــفسية مِنْ وزن واحد، وكذلك المتنبي والعالم العربي، وكذلك شوقي ومصر."[1]

***سر تفوق شوقي على غيره** : يكمن سر تفوقه على غيره في ذهنه الشعـــــــــــــريُّ، فكان رأسه كمصنع لا يتوقف عن الإنتاج والعطاء، ولكل قسم فيه عمله الخاصّ، فكان عمّاله الأعصاب، ومادته المعاني، ومهنـــدسه الإلهام، فكان بذلك اسمه في وزن اسم بلده،فإذا قلت شوقي ومصر، فهما في العظمة النفسية من وزن واحد .

5-الامتلاء الروحي عنده:

"قالوا: كان الفرزدق ينقح الشعر، وكان جرير يَخْشبُ(أي يُرسل شعره كما يجيء فلا يتنوَّقُ فيه ولا ينقحه؛وكان خَشْبُ جرير خـــــيراً من تنقيح الفرزدق و لم ينتبـــه أحد إلى السر في ذلك؛ما هو إلا السر الذي كان في شـــوقي بعينه، سرُّ الامتلاء الروحيّ قد أُمــــــــــدَّ بالطبع، و أُعين بالذوق،[2] وأوتي القوةَ أن يتحول بآثاره في الكلام؛ فكل ما كان منه فهو منه: يجيء دائماً قريباً بعـــضُه من بعضه ، ولا يكاد ينفذ إلى شعور إلا اتحد به.

فالفرق روحاني طبيعي كما ترى،لا عمل فيه لأحد ولا لصاحبه، وهو يشبـــه الفرق بين عاصفة من الهواء وبين نسيم من الريح يرسَلان على جهتين في البحر؛ففي ناحية يلتَجُّ المـــاء

---

[1]-مصطفى صادق الرافعي،وحي القلم ،ج3 ،ص315.

[2]- المصدر نفسه ،الصفحة عينها.

ويثب ويتضرّب ويقصف قصف الرعود،وفي الأخرى يترجرج ويتزحف و يقشعرُّ ويهمس كوسواس الحلى ."[1]

***الفرق بين شوقي وغيره من الشعراء** :فالفرق روحاني طبيـــعي-كما هو الحال بين الفرزدق وجرير-وهبة من الخالق لمخلوقه فلا عمل فيه لصاحبه لما امتلكه من ذوق و قوة و بديهة.

6-جمل بعض النقاد والشعراء لشعر شوقي :

" وقد كان فيمن حاولوا إسقاط شوقي مَن هو أوسع منه اطلاعاً على آداب الأمم،وأبصرُ بأغراض الشعر وحقيقته ، وكان مع ذلك حاسداً شانئاً قد ثَقَبَ في قلبه الحِقد؛والحاسدُ المبغضُ هو في اتساع الكلام و طُغيان العبارة أخو المحب العاشق؛ فكلاهما يدور الدمُ في كبــده معاني و وساوس، وكلاهما يجري كلامه على أصل مما في سريرته، فلا تجد أحدهما إلا عالياً عالياً بمن يحب،ولا تجـــد الآخر إلا نـــازلاً نـــازلاً بمن يبغض ؛وكان هذا الناقد شاعراً، فانضاف شعره إلى حسده ، إلى بغضه، إلى ذكائه، إلى اطـــلاعه ، إلى جهده ،إلى طول الوقت وتراخي الزمن[2]؛ وهذه كلها مفرقعات نفسية... بعضها أشدُّ من بعض كالبارود ،إلى الديـنـــاميت ،إلى الميلينيـــــت؛ولكن شـــوقي كان في مرتقىً لم يبلغه الناقد، فانقلب جهدُ هذا عجزاً، وأصبح البارود والتراب في يده بمعنى واحد...[3]

ومن أعجب ما عجبت له من أمر هذا الناقد ،أني رأيته يقرر للناس صوابَ الحقيقة بزعمه [4]،فإذا هو يقرر غلطَه وجهلهُ وتعسفه؛ وهو في كل ما يكتب عن شوقي يكون كالذي يرى الماءَ

[1]-مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ، ج3، ص315.

[2]- المصدر نفسه ، الصفحة عينها.

[3]-أحسبه يعني العقاد.

[4]-مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،ج3،ص316.

العذبَ وعملَه في إنبات الروض وتوشِيَتِه وتلوينه،فيذهب يَعيبهُ للناس بأنه ليس هو البترين...الذي يحرك السيارات و الطيارات!

تناول شوقي بعد موته فجرده من الشخصية، أي من حاسة الشعر، ومن إدراك السر الذي لا يُخلَقُ الشاعرُ الحقُّ إلا لإدراكه والكشف عن حقائقه؛وكان فيما استدل به على ذلك أن شوقي لا يحسن وصف الربيع بمثل ما وصفه ابن الرومي في قوله:

تجدُ الوحوشُ به كفايتَها	والطيرُ فيه عتيدةُ الطُّعْمِ
فظباؤهُ تُضحى بمُنْتَطَح	وحمامه يضحى بمختَصمِ

وزعم أن ابن الرومي قد وُلد بحاسة لم يولد بها شوقي ، ولهذه الحاسة اندمج في الطبيعة فأدرك سر الربيع، وأنه غليَانُ الحياة في الأحياء، فالظباءُ تنتطح من الأشَر الخ الخ وبنى على ذلـــك ناطحـــة سحاب ... لا ناطحة ظباء.

أما شوقي الشاعر الضعيف العاجز الذي لم يولد بمثل تلك الحاسة، فلو أنه شهد ألفَ ربيــــع لما أحسَّ هذا الإحساس، ولا استطاع أن يجيء هذا القول المعجز؛وكل ذلك من هذا الناقد جهلٌ في جهل في جهل، وأعاليل بأضاليل بأباطيل،فابن الرومي في هذا المعنى لصٌّ لا أكثَر ولا أقل، فلم يحسَّ شيئاً ولا ابتدع و لا اخترع."[1]

***آراء بعض النقاد في شعر شوقي**:تعرض شعر شوقي للنقد من قبل بعض النـــقاد، فكان منهم من كان حاسداً شانئاً ومبغضا،جاهلاً لشعره وذوقه وجمال روحه،فكان من هؤلاء العقاد الذي كان شعره كالمفرقعات النفسية، كالبارود، لكن شوقي كان أعلى مترلة منه و لم يستطع العقاد أن يبلغ هذه المترلة، رغم محاولاته التي بذلها لإقناع الناس للحـــطِّ من قيمة شعر شوقي، فكان البارود والتراب في يده بمعنى واحد.

[1] –مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،ج3 ،ص ،316و317.

-تناول العقاد شوقي بعد وفاته وجرّده من حاسة الشعر وعاب عليه أنّه لا يحسن وصف الربيع مثلما وصفه ابن الرومي،وذلك لأنّ هذا الأخير في نظره قد ولد بالفطرة بحاسة لم يولد بها شـــوقي على عكس شوقي-في نظره-لم يولد بهذه الحاسة فكان بذلك حكم العـــقاد عليه باطل وغير منصف في حقه.

7-تفوق شوقي على شعراء عصره:

"وكان شعر شوقي في جزالته وسلاسته كأنما يحمل العصا لبعض الشعراء يردُّهم بها عن السفْسفَة والتخليط والاضطراب في اللفظ والتركيب؛فكثر الاختلال في الناشئين من بعده،و جاءوا بالكلام المخلَّط الذي تبعث عليه رخاوة الطبع و ضعف السليقة،فتراه مكشوفاً سهلاً ولكن سهولته أقبحُ في الذوق من جفوة الإعراب على كلامهم الوحشيّ المتروك.

والآفة أن أصحاب هذا المذهب يفرضون مذهبهم فرضاً على الشعر العربي،كأنهم يقولون للناس: دعوا اللغة وخذونا نحن وليس في أذهانهم إلا ما اختلط عليهم من تقليد الأدب الأوربي.

وأنا فلست أرى أكثر هذا الشعر إلا كالجيف،غير أنهم يقولون إن الجيفة لا تعدُّ كذلك في الوجود الأعظم، بل هي فيه عمل تحليلي علميّ دقيق؛لقد صدقوا؛ولكن هل يكذب من يقول:إن الجيفة هي فسادٌ ونتن وقذَر في اعتبار وجودنـــا الشخصي، وجود النظر و الشم،والانقباض والانبساط،و سلامة الذوق و فساد الذوق!.

وكان حاسدو شوقي يحسبون أنه إذا أزيح من طريقهم ظهر تقدمُهم؛فلما أزيـــح من الطـــريق ظهر تأخرهم.... وهذه وحدها من عجائبه رحمه الله!."[1]

*ردّ شوقي القويّ على بعض الشعراء:كان لسلاسة وجزالة شعره لبعض الشعراء كرد قويّ وكبرهان على موهبته ونقاء قريحته، على عكسهم لما كان في شعرهم من ضعف

[1]-مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم ،ج3 ، ص318.

واضطراب في اللفظ والتركيب ورخــــاوة في الطبع وضعف في السليقة،فكان شعرهم كالجيف لما فيه من فساد ونتانة.

-فكان حاسدوه يظنون أنه بمجرد رحيله سوف يظهر تقدمهم، فلما رحل ظهر تأخرهم...وهذه وحدها من عجائبه رحمه الله.

-**مجـــال الـــــنص وخصائـــصه**:هذا النص جزء من المقال الأدبي يعبر فيه الكاتب عن إعجابه بشعر "شوقي" وحبه له، في أسلوب يقرب من الشعر في قوة تأثيره،وروعة تعبيره ، ولا يكاد يختلف عنه إلا في خلوه من الوزن والقافية ، وقد تحققت فيه خصائص المقال الأدبي و هي :

-انتقاء الألفاظ وهندسة العبارة.

-ظهور العاطفة قوية في ثناياه.

-الاستعانة بالصور الخيالية والمحسنات غير المتكلفة.

كما تحققت فيه السمات العامة للمقال وهي:

-تحديد الموضوع، وترابط الأفكار وتسلسلها وبعدها عن التفكك والتناقض.

-الإقناع عن طريق سلامة الأفكار ووضوحها.

-العرض الشائق الذي يجذب القارئ و يؤثر في نفسه وفكره.

-**الأفـــــــــــكـــــــــار**: من سمات النثر الأدبي المعاصر ما يأتي :

أ- مرتبة و متسلسلة، تسلسلاً منطقياً حيث يبدأ بمدح شعر شوقي وتفوقه وخلود شعره رغم وفاتـــــــه ثم ينتقل إلى جهل بعض الأدباء لشعر شوقي ويرجع ذلك لبغضهم وحسدهم له، لما وهبه الله من كمية وجدانية هائلة في نفسه الشاعرة الممتازة.

ب-الإقناع بالدليل والبرهان، فسر تفوق شـــعر شوقي و تفرده على شعراء عصره، وتعرضه للنقد من قبل بعض النقاد والحاسدين له، وذلك دليل على جودة ذوقه و أحاسيسه، وانطباعاته، وقوة لفظه وتراكيبه ورغم محاولاتهم لإقـــناع الناس للحطّ من قيمة شعره، إلاّ أن كل مـــحاولاتهم باءت بالفشل.

ج-وعي الكاتب بانتقاء الألفاظ القوية الصافية العربية الأصـــيلة الدقيقة وصاغها في عبـــارات محكمة قوية، ولعلك تلاحظ تكراره للفظة "**وأعجبُ**" للدلالة على تأثره وإعجابه بشعر شوقي، وتكراره أيضا لبعض الألفاظ لتوكيد المعنى مثل قوله:"**عالياً، عالياً**"،"**نازلاً،نازلاً**"،"**وجاهـــــل في جهل في جهل**"،كما نلاحظ وجـــود الـــــتـــرادف المعنوي لـــتوكيد الـــفكرة مثـــل:"**الحـــاســـد والمبغض**" ، وأيضا"**فساد ونتن وقذر**"،"**وأعاليل بأضاليل بأباطيل**".

-الأســـــلــــــــــــــــوب:

النص مثال للمقال الأدبي ، حيث تمتزج عاطفة الكاتب (حبه و إعجابه بشعر شوقي)بأفكـــاره في صياغة جميلة، وتصوير بديع ،والأساليب التي استخدمـــها الكاتب خبرية تقريرية لإظهار إعجابـــه وحبه لشعر شوقي ، وخلود شعره حتى بعد وفاته والأساليب الإنشائية تتمثل في الاستفهام الذي أتى لإثبات صحة قوله وللتعجب والتعظيم و الانبهار، في هل...؟ في مثل قوله:" فهل أثبتـــه الزمن أو نفاه،وهل سلّم له أو كابره ، وهل ردّه في أغمار الشعراء أو جعل الشعراء بعده أدلة من أدلتــــه؟" وطرحه لهذه الأسئلة وسيلة لإثبات صحة قوله وهذا يظهر في إجابته عليها في الفقرة التي تليها، وللتعجب والتعظيم والانبهار في قوله:"هل تختار بعضُ

الأشياء العظيمة وصفَها ومفسِّر عظمتـــها، كما تختار المرأةُ الجميلةُ عاشقها ومُستجلى حسنها ؟".

التصوير كثير في النّص-شأن الأسلوب الأدبي :

-ومن التشبيهات:تشبيه قوة شعر شوقي بقوة السموات والأرض في قوله:"**كأن شوقي كان يعملُ لشعره بقوة السموات والأرض**"،وأيضا تشبيه شوقي بالقمر إذا غاب ساد الظلام في قوله:"**كما تكون الظلمة بعد غياب القمر**"، وتشبيه قصيدته بالمدفع الذي يحدث دويا مجلجلاً في قـــوله:" **فيرسل قصيدته الشرود السائرة داويةً مجلجلة**"،وتشـــبيه شوقي بعمل تاريخي متميز في قوله :"**وأعجب من ذا أن "شوقي" كان في العالم العربي كأنه عملٌ تاريخيٌ متميزٌ**"،وتشبيه انتقاء شوقي للألفاظ بالمرأة التي تختار كل ما يبدي جمالها في قوله:" **هل تختار بعضُ الأشياء العظيمة وصفَها ومفسِّر عظمتها، كما تختار المرأةُ الجميلةُ عاشقها ومستجلى حسنها؟**"، وتشبـــــيه رأسه بالمصنع في عمله وعماله ومواده في قوله:"**فكان في رأسه مصنع عمّاله الأعصاب ، ومادتـــه المعاني، ومهندسه الإلهام**". وتشبيه شعر أصحاب المذهب الذين يفرضون مذهبهم على الشعر العربي بالجيف في فساد ذوقهم وضعف سليقتهم في قوله:" **وأنا لست أرى أكثر هذا الشعر إلا كالجيف....**".

-ومن الكنايات:"**وهو يحيي شعره**" كناية عن تمكنه من الشعر ،"**يكون كالـــذي يرى الماء العذبَ وعملَه في إنبات الروض وتوشيته وتلوينه، فيذهب يَعيبُه للناس بأنّه ليس هـــو البترين...الذي يحرك السيارات والطيارات**" كناية عن جهل هذا الناقد لقوة شعر شـــوقي، "**ولكن سهولته أقبحُ في الذوق من جفوة الإعراب على كلامهم الوحشي المتروك** "كناية عن رداءة شعرهم.

-ومن الاستعارات المكنية :"**أصبح الشاعر هو وماله و جاههُ وشــعرهُ في حكم الكلمة التي يقولها الزمن**" استعارة مكنية تصور الزمن إنسانا في قوله و أحكامه على الشاعر.

- ومن المحسنات البديعية :الطباق بــين " **الحقيقة/المجاز**"، "**الانقباض/ الانبساط**"، "**سلامة الذوق/ فساد الذوق**"،" **تقدمهم/تأخرهم**"، المقابلة بين " **عالياً عالياً بمن يحب ،نازلاً نازلاً بمن يبغض**" . وحسن التقسيم في الفقرة "**أمدَّ بالطبع، وأُعين بالذّوق، وأُتي بالقوة**".

-يظهر في النّص تأثر الكاتب بقصة عصا سيدنا موسى وكيف انقلب سحر السحَرة عليهم، في قوله:" **وأن الشاعر لو جاء يومه لبطل السحرُ على الساحر، فترجع العصا وهي عصاً بعد أن انقلبت حيّة**" وأيضـــــا في قــــوله:"**كأنما يحمل العصا لبعض الشعراء يردُّهم بها عن السفسفة والتخليط و الاضطراب في اللفظ والتركيب**".

كما يظهر أيضا تأثره بالتراث العربي القديم جلياً من خلال مقــارنته بين شعر الفرزدق وشعر جرير، وفي حكمه على ابن الرومي في الأبيات التي استدل بها الناقد في حكمه على شوقي.

-ومن خلال هذه المقالة التي تناولناها بالدراسة والتحلــيل ، يمكننا من خلالــها أن نقف على بعض خصائص المقالة الأدبية عند الرافعي :

-التأثر بالثقافة الإسلامية، وبالتراث العربي.

-العناية بالفكرة، وحيوية اللفظ، وروعة التصوير، وواقعية الموضوع.

-امتزاج عاطفة الكاتب بأفكاره في صياغة جميلة.

-الدقة في اختيار اللفظ الأصيل مع إحكام الصياغة.

-كثرة اعتماده على الصور البيانية والمحسنات البديعية، كوســـــيلة للتعبير عن أفكاره، فأضـــــفت عـــــلى أسلوبه نغماً عذباً يَأْنسُ به السامع وتُطرب له المسامع .

المبحث الثاني: مقالة-أمير الشعر في العصر القديم-

هذه المقالة للأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعي وهي عبارة عن مقدمة وضعها للأديب محمد صالح سمك في رسالته الموسومة ب- امرئ القيس" أمير الشعر في العصر القديم " –تقع في نحو مائتين وخمسين صفحة،فخص المؤلف المقتطف بنشر المقدمة وبعض أبحاث الرسالة فيها .[1]

1-منهج إفراد شاعر أو كاتب قديم :

"الوجه في إفراد شاعرٍ أو كاتبٍ من الماضين بالتأليف ، أن تصنع كأنَّك تعيده إلى الدنيا في كتابٍ وكان إنسانًا ،وترجعه درسًا وكان عمرًا، وتردُّه حكايةً وكان عملاً ، وتنقله بزمنه إلى زمنك ، وتعرضُه بقومه على قومك ، حتى كأنَّه بعد أن خلقه الله خِلقة إيجادٍ يخلقه العقل خلقة تفكير[2] .

من أجل ذلك لابدَّ أن يتقصَّى المؤلف في الجمع من آثار المترجم وأخباره ،وأن يحمل في ذلك من العنت ما يحمله لو هو كان يجري ورَاءَ مَلكَي من يترجمه لقراءة كتاب أعماله كتابٌ في يديهما ... ولابدَّ أن يبلغ في التمحيص و المقابلة ، ويدقق في الاستنباط و الاستخراج ، ويضيف إلى عامة ما وجد من العلم والخبر خاصةً ما عنده من الرأي والفكر،ويعمل على أن ينقِّح ما انتهى إليه الماضي في أدبه و علمه بما بلغ إليه الحاضر في فنِّه و فلسفته ." [3]

*__الشروط التي يجب أن يلتزم بها المؤلف__ :يرى الكاتب أنَّه لابدّ لكل مؤلف أراد إفراد شاعر أو كاتب أن يُعمل مصنع فكره وأن يلتزم بعدة شروط حتى يكون حكمه صائبا ،فلابدّ له من الإحاطة ببيئة هذا الأديب أو الشاعر وأيضا جمع لآثاره وأخباره ،ومن تمحيص ومقابلة

[1]–مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ،ج3،ص318.

[2]–مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ،ج3 ،ص318.

[3]–المصدر نفسه،الصفحة عينها.

وتدقيق في الاستنباط والاســـتخراج ، فضلا عن زيادة أفكاره وآراءه للعمل الذي وجده ، إضافة إلى تنقيح ما انتهى إليه الماضي في أدبه وعلمه وذلك عن طريق التجديد فيه وإتمام ما ينقصه وذلك يـــكون بتناول ما بلغ إليه الحاضر في فنّه وفلسفته .

2-طرق التجديد في الأدب :

"والتجديد في الأدب إنّما يكون من طريقتين : فأمَّا واحدةٌ فإبداع الأديب الحيّ في آثار تفكيره بـــما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ،وأمَّا الأخرى فإبداع الحيِّ في آثار الميت بما يتناولها به مـــن مذاهب النقد المستحدثة وأساليب الفنّ الجديدة وفي الإبداع الأول إيجاد ما لم يوجد ، وفي الثاني إتمام ما لم يتمّ؛ فلا جرم كانت فيهما معًا حقيقة التجديد بكلِّ معانيها ، ولا تجديد إلاَ من ثـــمّة، فلا جديد ؛ إلاَّ مع القديم ."[1]

***رأي الرافعي في التجديد** :والتجديد في الأدب–حسب رأي الكاتب– يكون بطريقتين : فالأولى يكون عن طريق الابتكار والخلق و إيجاد ما لم يوجد من قبل من صور جديدة في اللغة والبيان ، أمّا الثانية فيكون عن طريق إتمام عمل ناقص وذلك بإضـــافة مذاهب نقدية مستحدثة وأساليب الفنّ الجديدة ، ومن خلال هاتين الطريقتين يكون التجديد والإبداع .

3-سبب تخبّط منتحلو الجديد :

"وإذا تبينت هذا و حققته أدركت لماذا يتخبَّطُ منتحلو الجديد بيننا وأكثرهم يـــدّعيه ســـفاهًا و يتقلَّده زورًا ، وجملة عملهم كوضع الزنجيِّ الذَّرورَ الأبيض (البودرة) على وجههِ ثم يذهب يدّعي أنَّـــه خرج أبيض من أمِّه لا من العلبة.....فإنّ منهم من يصنع رسالةً في شـــاعرٍ وهو لا يفهم الشعر ولا يحسن تفسيره ولا يجده في طبعِه ، ومنهم من يدرس الكاتب البليغ وقد باعده اللّه من البـــلاغة ومـــذاهـــبها وأســـرارها، ومنهم من يـــجدّد في تـــاريخ الأدب ، ولكن

---

[1]–مصطفى صادق الرافعي،وحي القلم ،ج3 ،ص318.

بالتكــذّب عليه والتقحُّم فيه والذهاب في مذهب المخالفة ، يضرب وجه المقبــل حتى يجيءَ مدبرًا ، ووجه المدبر حتى يعود مقبلاً، فإذا لكلّ فريق جديد ،وينسى أنّ جديده بالصنعة لا بالطبيعة وبالزور لا بالحق.

ألا إنّ كلَّ من شاءَ استطاع أن يطبّ لكلِّ مريض، لا يكـــلفه ذلك إلاَّ قولاً يقوله وتلفيقًا يــدبره، ولكن أكذلك كلُّ من وصف دواءًا استطاع أن يشفي به ؟"[1]

***ادعاء بعض الأدباء التجديد:** من خلال هــذا يتبين لنا لماذا يتخبط منتحلو الـــجديد الذين يدعون التجديد والإبداع ،فمنهم من يتناول شاعر بالدراسة وهو لا يفهم الشعر ولا يجيده، ومنـــهم من يدرس كاتباً بليغاً وهو بعيد كل البعد عن البلاغة وأسرارها ، ومنهم من يجدّد في تاريخ الأدب بالتكذب والتلفيق ومخالفة الحقيقة المتفق عليها ،فينفي ما حقه الإثبات ويثبت ما حقه النفي، فكان جديد هؤلاء بالكذب والصنعة والزّور لا بالطبيعة والحق.

4-رأي الكاتب في رسالة الأديب محمد صالح سمك :

"وبعد، فقد قرأت رسالة امرىءِ القيس التي وضعها الأديب السيد محمد صالح سمك ،فــرأيت- كاتبها- مع أنَّه ناشئٌ بعد –قد أدرك حقيقة الفنّ في هذا الوضع من تجديد الأدب ، فاســتقام على طريقةٍ غير ملتوية،ومضى في المنهج السديد ولم يدع التثبت وإنعام النظر وتقليب الفكر وتحصين الرأي ،ولا قصَّر في التحصيل والاطلاع والاستقصاء ."[2]

***تصريح الرافعي باتباع محمد صالح ســمــك المنهج الســـديد في رسالته** :يرى الكاتب أنّ الأديب محمد صالح سمك قد سلك المنهج السليم في هذه الرسالة، فقد أدرك

1–مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم ،ج3 ،ص 319.

2–المصدر نفسه ، الصفحة عينها.

حقيقة التجديد في الأدب ويظهر ذلك جـــليا من خلال تثبته وتقليب فكره وتحصين رأيه، والدقة في استقصاءه والمبالغة في التحصيل .

5-سرّ خلود امرئُ القيس :

"فإنَّ امرأ القيس في رأيي إنَّما هو عقلٌ بيانيٌّ كبيرٌ من العقول المفردة التي خلقت خلقتها في هذه اللغة،فوضع في بيانها أوضاعًا كان هو مبتدعها والســـابق إليها ،ونهج لمن بعده طريقتها في الاحـــتذاءِ عليها والزيادة فيها والتوليد منها ؛ وتلك هي منقـــــــــــــبته التي انفرد بها والتي هي سرُّ خلوده في كلِّ عصرٍ إلى دهرنا هذا وإلى ما بقيت اللغة ؛ فهو أصل من الأصول ، في أبواب من البلاغة كالتشبيه والاستعارة و غيرهما ،حتى لكأنَّه مصنعٌ من مصانع اللغة لاَ رَجلٌ من رجالها ؛ وكما يقال في أممنا في أمم الصــــناعة: سيــــارة فورد وسيــــارة فيات، يمكن أن يقال مثل ذلك في بعض أنواع البلاغة العربية: استعارة امرئُ القيس ،وتشبيه امرئُ القيس .[1]

والعقل البيانيُّ كما قلنا في غير هذه الكلمة ، هو ثروة اللغة ، وبه وبأمثاله تعَامل التاريخ ، وهو الذي يحقق فيها فنَّ ألفاظِها وصورها؛فهو بذلك امتدادها الزمنيُّ وانتقالها التاريخيُّ وتخلُّقها مع أهلها إنسانيةً بعد إنسانيةٍ في زمن بعد زمن ،ولا تجديد ولا تطور إلاَّ في هذا التخلق متى جاءَ من أهله والجديرين به ؛وهو العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقّي الوحيِّ و أدائِه واعتصار المعنى من كلِّ مادةٍ وإدارة الأسلوب على كلِّ ما يتَّصل به من المعاني والآراء ."[2]

***امرؤ القيس عقلٌ بيانيٌّ كبير** :إنّ امرأ القيس في رأي الكاتب-رحمه الله- هو عقلٌ بيانيٌ كبـــيرٌ فريد وضع بصمته في هذه اللغة وهو أصل من أصولها وواضع بيانها ومبدعها والسابق إليها،والمنهج الذي يجب على من جاءوا بعده الاحتذاء به ،والعقل البياني هو العقل القادر على

---

[1]-**مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ،ج3،ص319.**

[2]-**المصدر نفسه ، الصفحة عينها.**

التجديد والإبداع والخلق وإثراء اللغة بتجديد ألفاظها وصورها، وهو العقل الذي خلقه الله ورزقـــه موهبة التفسير والتوليد وابتكار المعاني وحسن التحكم في الأسلوب .

6-امرؤ القيس ميزان الشعر العربي :

"وللسبب الذي أومأنا إليه بقي امرؤُ القيس كالميزان المنصوب في الشعر العربيّ يبين به الناقص والوافي؛ قال الباقلانيّ في كتابه (الإعجاز) :وقد ترى الأدباءَ أولاً يوازنون بشِعره(يريد امرأ القيس) فلانًا وفلانًا ويضمون أشعارهم إلى شعره، حتى ربّما وازنـــــــوا بين شِعر من لقيناه (توفي الباقلاني سنة 403 للهجرة) وبين شعره في أشياءَ لطيفةٍ وأمورٍ بـــديعة ،وربَّما فضّلوهم عليه أو سوّوا بينهم وبينه أو قرَّبوا موضع تقدمه عليهم وبرزوُه بين أيديهم ،1ه.

ومعنى كلامه أنَّ امرأ القيس أصلٌ في البلاغة ، قد مات ولا يزال يخلق، وتطوَّرت الدنيا ولا يزال يجيءُ معها ، وبلغ الشعر العربيُّ غايته ولا تزال عربيةً عند الغاية ."[1]

***رأي الباقلانيّ في امرئ القيس** :يعتـــبر البـــاقلانيّ أنّ امرأ القيس ميزان يـــزنون فيـــه الأدباء أشعارهم ، ومن ذلك يتبين لهم الناقص والوافي ، فيقارنون بين شـــــعرهم وشعره لاكتشاف مواطن القبح والجمال في شعرهم فإما استحسنوا شعره وإمّا سوّوا بينهم وبينه أو بيّنوا موضع تقدمه عنهم.

ومن هنا نرى أن امرأ القيس عماد اللّغة وأصل البلاغة ، وظلَّ شعره خالداً في كل عصر إلى عصرنا هذا وإلى ما بقيت اللغة .

7-انتقاد الباقلانيّ لشعره :

[1]–مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،ج3،ص**320**.

"وعرض الباقلانيُّ في كتابه طويلة امرىءِ القيس فانتقد منها أبياتًا كثيرة،ليدّل بذلك على أنَّ أجود شعرٍ وأبدعه وأفصحه وما أجمعوا على تقدمه في الصناعة والبيان ، هو قبيلٌ آخر غير نظم القرآن لا يمتنع من آفات البشرية ونقصِها وعوارها ؛فركب في ذلك رأسه ورجليه معًا ....فأصاب وأخطأ،وتعسَّف وتهدَّى، وأنصف وتحامل ،وكلُّ ذلك لمكانة امرىءِ القيس في ابتكاره البيانيّ الذي لا يمكن أن يدفع عنه ،ولما انتقد قوله :

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ

قال:"فقد قالوا: عنى بذلك أنَّها كبيضة خدرٍ في صفائِها ورقتها، وهذه كلمةٌ حسنةٌ ولكن لم يسبق إليها بل هي دائرةٌ في أفواه العرب". ألا ليت شعري هل كان الباقلانيّ يسمع من أفواه العرب في عصر امرىءِ القيس قبل أن يقول(وبيضة خدر)؟.

على أنّ الكناية عن الحبيبة(ببيضة الخدر) من أبدع الكلام وأحسن ما يؤتى العقل الشعريّ، ولو قالها اليوم شاعرٌ في لندن أو باريس بالمعنى الذي أراده امرؤُ القيس–بما فسَّرها به الباقلانيّ– لاستبدعت من قائلها ولأصبحت مع القبلة على كلِّ فم جميل ؛ بل هم يمرون في بعض بيانهم من طريقِ هذه الكلمة،فيكنون عن البيت الذي يتلاقى فيه الحبيبان(بالعشّ)، [1]وما يتخذُ العشُّ إلاّ للبيضة،إنّما عنى الشاعر العظيم أنَّ حبيبته في نعومتها وترفها ولين ما حولها ، ثم في مسِّها وحرارة الشباب فيها ،ثمَّ في رقتها وصفاءِ لونها وبريقها، ثم في قيام أهلها وذويها عليها ولزومهم إيَّاها، ثم في حذرهم وسهرهم، ثم في انصرافهم بجملة الحياة إلى شأنها وبجملة القوَّة إلى حياطتها والمحاماة عنها –هي في كلّ ذلك منهم ،ومن نفسها كبيضة الجارح في عشِّه، إلاَّ أنَّهَا بيضة خدر ، ولذلك قال بعد هذا البيت:

[1]–المصدر السابق ،ص،320و321.

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرًا   عَلَيَّ حِرَاصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي "[1]

***إبداع هذا الشاعر العظيم للصور البيانيّة** :انتقد الباقلانيُّ بعض أبيات الشاعر، ليـــدلّ على جودة شعره وفصاحته ،وعلى الرغم من إجـــماع مؤرخـــو الأدب عـــلى أنّ امـــرأ القيـــس أســـبق شـــعراء العربية إلى ابتداع المعاني والتعبير عنها ، وأنّه افتتح أبوابًا من الشعر ، ووُفق في التشبيهات ،وطرق وموضوعات لم يسبق إليها ،هذا إلى لفظ جزل وسبك محكم يتخلّلُه مثل مُرسل ، وحكمة بالغة[2] إلاّ أنّ شعره لا يخلو من بعض الأخطاء والهفوات رغم مكانته في ابتكار البيان،وبذلك يكون نظم الشعر لا يخلو من هفوات البشر وهو قبيل آخـــر من نظم القرآن.ويظهر لنا إبداعه جـــليا في استخدامه صورة "بيضة خُدر" والتي لم يسبق إليها بل هي دائرة في أفواه العرب–حسب تفـــســـير الباقلانيّ–حيث عنى الشاعر العظيم "ببيضة الخدر" ربّ امرأة كالبيض في سلامتها من الافتضاض أو في الصون والستر ،أو في صفاء اللون ونقائه، أو بياضها المشوب بصفرة يسيرة ، ملازمةٍ خـــــدرها غير خرّاجةٍ ولاّجة انتفعتُ باللهو فيها على تمّكُّث وتلبُّث ،لم أعْجَلْ عنها، و لم أشغل عنها بغيرها وتجاوزت في ذهابي إليها ،وزيارتي إياها أهوالاً كثيرة ، وقومًا وحِرَاصًا على قتلي ،لو قدروا عليه في خفيه، لأنّهم لا يجترءون على قتلي نـــهارًا ، أو حرصًا على قتلي لو أمكنهم قـــتلي ظـــاهرًا ليـــتزجر ويرتدع غيري عن مثل صنيعي به،وحَمْلُه على الأولى أوْلى ،لأنه كان مَلِكًا ، والمـــلوك لا يقدر على قتلهم علانية ولذلك قال :

تجاوزت أحراسًا إليها ومعشرًا   عليّ حراصًا لو يسُّرون مقتلي[3]

---

[1]– **مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم،ج3،ص، 320و321**

[2]–**الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص10.**

[3]–**المرجع نفسه،ص، 23و24.**

-**مجال النــص** :هذا النّص جزء من المقال الأدبي يتحدث الكاتب فيــه عن كيفــية إفراد شاعر أو أديب وما هو المــنهج السديد الذي يجب إتباعه من أجل ذلك ، مع تأكيده للأديب بضرورة إدراك حقيقة الفن في هذا الوضع من تجديد الأدب .

-**الأفكــار** : فيها من سمات النثر الأدبي المعاصر ما يأتي :

-جاءت أفكاره خاضعة للترتيب المنــطقي ،استهلها بالحديث عن كيفية التجديد في الأدب والطريقة التي يجب أن يتبعها الأديب في ذلك ، والمنهج السديــد الذي يعتمده في ذلك ثم ينتــقل إلى الحديث عن لزوم ابتكار الأديب والتجديد في الأدب بالحقّ والطبيعة وليس بالزّور والصنعة ويضرب لنا مثالا بامرئ القيس في ذلك .

-كما يستشهد الكاتب –رحمه الله –في نهاية المقالة بتفسير الباقلانيّ ببيت من أبيات امرئ القيس التي وظف فيها صورة وصف فيها حبيبته وقد دلّ ذلك على براعة هذا الشاعر العظيم و فصاحته وقدرته على الخلق والإبداع ، فهو أصل البلاغة ووضع في بيانها أوضاعًا كان هو مبتدعها والسابق إليها .

-جـــاءت أفكاره عميقة في تحـــليله، حيث يظهر ذلك في اكتشافه سرّ إبداع هذا الشاعر العظيم وتفرده وتميزه على غيره من شعراء عصره وإدراك سبب تخبّط منتحلو الجديد في عصرنا هذا ، فكانت تلك الأفكار غزيرة تعكس قدرة الكاتب على ابتكار المعاني .

- كذلك اعتمد على التعليل ، وعلى الإجمال والتفصــيل ،(وقد أشار إلى ذلك كل من محمد عارف حسين وحسين علي محمد ،إلى كثرة اعتماد الرافعي في معظم مقالاته على التعليل والإجمال والتفصيل في مؤلفهما المعنون ب:"دراسات في النص الأدبي العصر الحديث " من خلال تحليلهما لمقالته " الشيخ علي ")[1] فمن التعليل قوله :"**وإذا تبــينت هذا وحققته أدركت**

[1]–**محمد عارف حسين،حسين علي،دراسات في النص الأدبي العصر الحديث ،دار الوفاء،الإسكندرية،ص92.**

لماذا يتخبّط منتحلو الجديد بيننا وأكثرهم يدّعيه سفاهًا ويتقلّده زورًا...." تعليله:" **فإنّ منهم من يصنع رسالة في شاعر وهو لا يفهم الشعر ولا يحسن تفسيره ولا يجده في طبعه ....**".

كما اعتمد في مواضع كثيرة على الإجمال والتفصيل، مثل قوله "**من أجل ذلك لا بدَّ أن يتقصّى المؤلف في الجمع من آثار المترجم وأخباره وأن يحمل في ذلك من العنت ما يـــحمله لو هو كان يجري ورَاء ملَكي من يترجمه لقراءة كتاب أعماله كتابٌ في يديهما ....**" فهذا إجمال تفصيله في بقية الفقـــرة ، وقوله أيضـــــــــا:" **والتجديد في الأدب إنّما يكون من طريقتين : فأمَّا واحـــدةٌ فإبداع الأديب الحيّ في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ،وأمَّا الأخرى فإبداع الحيّ في آثار الميت بما يتناوله به من مـــذاهب النقد المستـــحدثـــة وأساليب الفنّ الجديدة** " ثم بدأ في تفصيل ذلك ، وهو يتـــأثر في هذا بالـــقرآن الكريم كقـــوله تعالى:"**قد أفلح المؤمنون** " فهذا إجمال تفصيله "**الذين هم في صلاتهم خاشعون** " والآيـــات التي بعدها .

-والحقُّ أن الكاتب قد استوفى جوانب كلّ فكرة ، فقد كان وافر المعاني، يحلل ويستنتج ويبرهن ، فلم يدع مجالا للإقناع إلاَّ سلكه .

-الإقناع بالدليل والبرهان ،حيث فسر استحسانه لرسالة الأديب السيد محمد صالح سمك بالرغم من كونه كاتب ناشئٌ إلاَّ أنَّ ذلك راجع إلى إدراكه لحقيقة التجديد والخلق في الأدب على عكس أدباء عصره الذين ينتحلون التجديد ويدعونه وهم لا يفهمون الشعر ولا يحسنون تفسيره وقد باعدهم الله عن البلاغة ومذاهبها وأسرارها .

- الأســـلــــــوب :

للكاتب ثقافة عربية أصيلة واســـــعة ،تظهر في جزالة أسلوبه ،وقدرته على التعبير الجميل عمّا يريد بعبارات قويّة فاخرة ، وبديباجة شديدة الحبك، ينتقي لها الألفاظ الأدبية الرائعة ،

ويجسّــد معانيــه في إطار جمل شديدة قويــة الدّلالة في رونق يزيده الإيــقاع الموسيقي جمالاً، فهو يمازج بين وسائل التبليغ بالكلمة والصورة والإيقاع ،وهو يتحكّم في أسباب اللغة ،إذ ينتقيها انتقاءًا وظيفيًا.

-فالألفاظ الواردة في هذه المقالة من جنس الموضوع ،فهو ينهج منهج التحليل في عرض أفكاره وترسيخها لدى القارئ ،ويغوصُ بعباراته المحكمة في ثنايا المعنى .

-واتكأ الكاتب في معظم مقالته على الجمل الخبرية التي تلائم موضوعه، فهي توضح آراءه وأفكاره حول قضية التجديد والإبداع في الأدب فكان الأسلوب الخبري الأنسب والأقدر على التعبير عن هذه الأمور.

-كما أنّ أسلوب الكاتب مليء بالصور البيانية ، والمحسنات البديعية،فهو امتداد "لمدرسة الصنعة اللفظية" التي تهتم بانتقاء الألفاظ وتجويد العبارة ،والاحتفاء بالبيان والبديع ،لكنه لا يهمل المعنى في سبيل المبنى ،فمن الصور البلاغية المتعددة التي وظفها التشبيه مثلا في قوله :"**وجملة عملهم كوضع الزنجيّ الذّرور الأبيض (البودرة)**" تشبيه منتحلو الجديد بالزنجي الذي يضــع البودرة ليخفي سواد بشرته ،وأيضا تشبيه فكر امرأ القيس بالمصنع في إنتاجه وعمله وذلك في قولــه: "**لكأنّه مصنع من مصانع اللغة لا رجلٌ من رجالها** ".وأيضا تشبيه شعره بالميزان الذي يقاس عليه أشعار الآخرين وذلك في قوله :"**بقي امرؤُ القيس كالميزان المنصوب في الشعر العربيِّ**" .

-ومن الكنايات :"**يضرب وجه المقبل حتى يجيء مدبراً، ووجه المــدبر حتى يعود مــقبلاً**". كناية عن صفة مخالفة الحقيقة المتفق عليها من قبل كل النّاس ،وأيضا قوله :"**ألا إنّ كلَّ من شــاءَ استطاعَ أن يطبّ لكلّ مريض ، لا يكلفه ذلك إلاّ قولاً يقوله وتلفيقًا يدبره** ."كناية

عن ادعاء الفهم في الأمور على الرغم من جهله في ذلك الشيء، وأيضا قوله:" **قد مات ولا يزال يخلق** ". كناية عن خلود شعره .

-ومن المحسنات البديعية التي وظفها الكاتب وقصد منها تقوية المعنى وتأكيده نذكر منها : الطباق:"**الصنعة/الطبيعة**" ،"**الزور/الحـــــق**" ،"**أصاب /أخطأ**" ،"**تعسّف/تهدّى**"، "**أنـــصف/تحامل**"

حسن التقسيم، وما يعطيه من موسيقى جميلة الوقع على السمع مثل قوله :"**أن تصنع كأنَّــك تعيده إلى الدنيا في كتاب وكان إنسانًا ،وترجعه درسًا وكان عمرًا، وتردُّه حكاية وكان عملا ،وتنقله بـــزمنه إلى زمنك،وتعرضه بقومه على قومك.**"

-للرافعي أسلوب متميز يعرفه القارئ حتى ولو لم يذكر اسمه معه ، ومن هذه الخصائص الأســـلوبية: -الاتجاه إلى الواقعية في اختيار الموضوع .

-الاعتماد على توليد المعاني والتعليل والإجمال والتفصيل في الكثير من المواضع .

-الإحساس على امتداد النص بدسامة الأسلوب ،ورونق العرض وبهائه ،وبســـــــط القول،والإطنـــــــــاب فيه .

-اعتماده على ألفاظ دقيقة وواضحة ، تخدم الموضوع الذي هو بصدد الحديث عنه .

-العناية بالفكرة وترتيبها .

-الحرص على اللفظ العربي الأصيل مع إحكام الصياغة .

-أســـلوبه مَليءٌ بالصور البيانية والمحسنات البديعية ،مما زاد أسلوبـــه روعة و جمـــالاً .



الخاتمة

الخـــاتمـــة:

-في خـــتام هذا البحث المتــواضــع ، توصلت إلى مجمــوعة من النتـــائج و هـــي كــالآتي :

1- تُعرف المقالة في العصر الحديث ،أنها قطعة أدبية مادتها المعرفة ، وتتميز بمعالجة موضوعات متنوعة تهدف إلى تقديم رؤية فكرية معينة للقارئ .

2-إنّ المقالة لم تكن فنًا جاهزاً منذ نشأتها البــكر في الوطن العربي ، وإنّما مرت بعدة مراحل وتطورات وذلك نتيجة الأحداث والمستجدات والتطورات في شتى المجالات التي شهدتها الأمة ، كما أسهم انتشار المطابع في الوطن العربي من ذيـــوعها بين الطبــقة المثقفة ، وبفضل الصحافة تمكنت المقالة من الوصول إلى ما هي عليه الآن .

3-إنّ للمقالة الأدبية خصائصها التي تميزها عن سائر الفنــون الأدبية الأخــرى، وعلى الكاتب أن يلتزم بها منها احترام منهج كتابة نصها حتى تكون الأفكار متسلسلة متناسقة ومترابطة فيما بينها.

4-إنّ للمقالة روادًا بــرعوا فيها وساهموا في تطــورها من خـــلال أساليبهم المتنوعة ومــواضيعهم المختلفة.

5- يعد الرافعي من رواد المقـــالة في الوطن العربي ، حيث كان أسلوبه محط إعجاب الباحثين والنقاد ،إذْ اهتموا به وعدّوه أسلوبًا قويًا ،لا يختلف عن أسلوب الجاحظ وابن المقفع ، كــونه جَدَّد في التراكيب و لم يُجَدِّدْ في الألفاظ ، وامتاز أسلوبه برونق العبارة ، وجزالة اللفظ ، حتى يمكن أن تقرأ في السطر الواحد من الفقرة الواحدة من الصفحة نصًا يجمع التشبيه والاستعــارة والكناية ، فهو يجمع اللفظة إلى أختها بما يجانسها ويلائـــمها ، إما في جرسها وإما في حروفها ،بالإضافة إلى صقلها وتهذيبها ، حتى تخرج قوية رصينة .

6-إنّ ثقافة الرافعي الدينية المستمدة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وتعلقه الشديـــد بلغة القرآن العربية الفصحى ، وثقافته اللغـــــوية التي استمدها من التراث العربي القديم ، كانت هي المعين الذي استمد منه العزيمة في موقفه من دعاة العاميّة ، ومحاربة كل من يدعو إلى تمصير اللغة العربية الفصحى .

7-اهتم الرافعي بالصور البيانية ، وخاصة التشبيه فكان أغزر مادة أعانت الرافعي في نســـــــج صوره، إذْ كثرت تشبيهاته المستمدة من الطبيعة في مقالاته ، فكان لها دور في تقوية العاطفة وثباتها .

8- القوة في الحق ، وهي سمة بارزة في أدبـــــه و مقالاته ، ويظهـــــــر ذلك جلياً في مقالاته التي قمنا بتحليلها ، فلم يدع مجالا للإقناع إلا سلكه .

9-جاءت أفكار مقالاته مرتبة ومتسلسلة تسلسلا منطقيا ، بعيدة عن التفكك والتناقـــض ،و قام بانتـــقاء ألفاظها انتقاء وظيفياً مناسبة لموضوعاته، فضلا عن اهتمامه بالمحسِنات البديعية التي قصد منها تقوية المعنى وتأكيده .


قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*المصادر:

1-مصطفى صادق الرافعي ،تاريخ آداب العرب ،راجعه وضبطه ،عبد الله المنشاوي ، مهدي البحقيري ، مكتبة الإيمان ، د.ط ،د.س ، ج1 .

2-مصطفى صادق الرافعي ،تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1974م.

3-مصطفى صادق الرافعي ،رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب ، مطبعة الهلال ، مصر ، د.ط،1924م.

4-مصطفى صادق الرافعي ، السحاب الأحمر ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ،ط1، 2002م.

5-مصطفى صادق الرافعي ، كتاب المساكين ،دار العصور ، مصر ،ط2، 1929م.

6-مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ،ط2، 2005م،ج1.

7-مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ، دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ،ط2، 2005م، ج2.

8-مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ،المكتبة العصريّة ،صيدا-بيروت ، د.ط ،د.س،ج3.

*المـراجع :

9-أحمد أمين ، النقد الأدبي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، د.ط ،1952م ،ج1.

10-أحمد حسن الزيات ، وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع ، مكتبة النهضة ، مصر- الفجالة ،ط1962،7م ، المجلد الأول .

11-ابن خلدون ، المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ط ، 1987م.

12-أحمد الشايب ، الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، د.ط ، 1966م.

13-أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية وأعلامها ، دار العلوم للملايين ،بيروت-لبنان، د.ط، 1978م.

14-أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر ، دار المعارف ، ط6 ، 1994م.

15-جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1983م ، ج3.

16-حنّا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربيّ ،دار الجيل ، بيروت ،د.ط ، 1986م.

17-رائد السمهوري ، علي الطنطاوي وأعلام عصره(سيد قطب وآخرون) صداقة-خصومة-نقد ، دار مدارك للنشر ، د.ط ، د.س .

18-ربيعي عبد الخالق ، فنّ المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، د.ط ،د.س.

19-الزوزني شرح المعلقات السبع ، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2005م .

20-شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط10، 1992م .

21-شرف عبد العزيز ، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة ، دار الجيل ، بيروت ، د.ط ، 2000م.

22-الشعار الفواز ، الموسوعة الثقافية العامة ، الأدب العربي ،دار الجيل ،بيروت ، د.ط، د.س .

23-طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ط12، د.س ، ج3 .

24-عمر بن قينة ، الأدب العربي الحديث ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، ط1 ، 1991م.

25-علي بوملحم ، في الأدب وفنونه ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا –لبنان ، د.ط ، د.س .

26-عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، دار الفكر العربي ، ط8 ، 1970م ،ج1.

27-عبد الرحمان عبد الحميد علي ، معالم المقال الأدبي والصحفي ، دار الكتاب الحديث ، د.ط ، 2008م .

28-عماد علي سليم الخطيب ، في الأدب الحديث ونقده ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط1، 2009م .

29-عبد العاطي شلبي ، فنون الأدب ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1، 2005م .

30-عبد العزيز المقالح ، عمالقة في مطلع القرن ،دار الآداب ، بيروت ،ط2 ، 1988م.

31-كمال نشأت ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، مصر ، د.ط ، 1968م .

32-كرم البستاني ، ديوان النابغة الذبياني ،دار صادر ،بيروت ، د.ط ، د.س .

33-مرسي أبو ذكري ، المقال وتطوره في الأدب المعاصر ، دار المعارف ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، 1981م-1982م .

34-محمود أبو ريّة ، من رسائل الرافعي ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1912م-1913م .

35-محمود أبو ريّة ، رسائل الرافعي ،ويليه الرسائل المتبادلة بين أحمد زكي باشا والأب انستانس ماري الكرملي ، الدار العمرية ، 2006م .

36-محمد رجب البيومي ، مصطفى صادق الرافعي فارس القلم – تحت راية القرآن ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1997م .

37-محمد سعيد العريان ، حياة الرافعي ،المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط3 ، 1955م.

38-محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، دار الجيل، بيروت ، ط1 ، 1992م ، ج2 .

39-محمد عارف حسين ، حسين علي محمد ، دراسات في النص الأدبي العصر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2000م .

40-مصطفى نعمان البدري ، الإمام مصطفى صادق الرافعي ، مطبعة دار البصري ، د.ط ، د.س .

41-مصطفى نعمان البدري ، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، دار الجيل ، بيروت ، دار عمّار ، عمّان –الأردن ، ط1 ، 1991م .

42-محمد يوسف نجم ، فنّ المقالة ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ط4 ، 1966م .

43-نعمات أحمد فؤاد ، أدب المازني ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1961م .

*الدوريات :

44-جمال الجاسم المحمود ، فنّ المقالة ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، العدد الأول ، 2008م ، المجلد 24 .

45-عبد السلام أقلمون ، شعرية الإصلاح في أدب مصطفى صادق الرافعي ، مجلة حراء، اسطنبول ، العدد السابع ، أبريل / يونيو ، 2007م .

46-علي الطنطاوي ، إلى الأستاذ الرافعي ، مجلة الرسالة ، العدد 69 ، 1934م .

*المعاجم :

47-ابن منظور ، لسان العرب ، م12 ، مادة : ق-و-ل ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 2004م .

48- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، دار المعرفة ، بيروت ، ط4 ، 2009م .

*رسائل الماجستير :

49-أحلام بالولي ، بلاغة اللّغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي ، جامعة العقيد آكلي محند أولحاج ، البويرة ، 2014م .

50-فضيلة مادي ، دور عالمية الأدب ومذاهبه في تطور الأدب و ظهور أجناسه الأدبية، المركز الجامعي ، العقيد آكلي محند أولحاج ، البويرة ، 2012م .

51-محمود شاكر خيون ، الجمال في أدب الرافعي ، كلية الآداب ، الجامعة العراقية ، بغداد ، 2012م .

52-نجاة محمد عبد الماجد العباسي ، الجانب الديني في أدب الرافعي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1982م .

53-هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في " كتاب المساكين " ل : الرافعي ، كلية الآداب ، جامعة ورقلة ، 2002م – 2003م .

54-وفاء يوسف إبراهيم زبادي ، الأجناس الأدبية في كتاب (السّاق على السّاق في ماهو الفرياق) لأحمد فارس الشدياق ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين .


" نستطيع أن تجد لكل أديب شبيهاً يماثله
في السابقين أو المعاصرين ،
ولكنك لا تستطيع أن تجد
لـ مصطفى صادق الرافعي
في نثره هذا الشبيه ،
إذ كان الرجل نسيج وحده دون خلاف "
العلامة محمد رجب البيومي
Design by : SilveR
www.3sam.cc



الفهرس

الفهـرس:

-الملخص :

نسعى من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء بالدراسة والتحليل على عَلَمْ هام من أعلام المقالة، ألاَّ وهو مصطفى صادق الرافعي إذْ ساهمت مقالاته – رحمه الله – في تطور الأدب العربي من خلال منهجه و أسلوبه في الكتابة العربية ، فهو في كتابته يحافظ على اللغة العربية ونقاء أسلوبها وبلاغتها ، وعلى أصالة بنية جملها و استقامة ألفاظها ، أما موضوعات مقالاته فهي متعددة ومتنوعة و إن غلب عليها الدفاع عن العقيدة الإسلامية واللغة العربية .

الكلمات المفتاحية : المقالة ، المقالة الأدبية، مصطفى صادق الرافعي، الأسلوب، الخصائص .

-*Le résumé* :

Notre objectif dans ce travail est de trier au jour une figure de l’art de l’article qui est Mustapha Sadik e- rafai ces écrit (l’articles) ont participé de part son style au développement de la littérature arabe.il fut l’un des auteure qui ont préservé la langue arabe et préservé la pureté de son style et de sa rhétoruque, Quant aux styles abordés dans ses écrits, ils sont aussi divers que variés quoi qu’ils concernent tous pour défendre la foie musulman et la langue arabe .

Les mots clés : l’article ,l’article littéraire ,Mustapha Sadik E Rafai , la méthode caractéristiques.

-*Summery*:

The present research shedding light by studying and analyses about one of the most Important scientist of articles is Mustafa sadik e-raffia ,which his articles contributed to the amelioration of Arabic literature, throughout his method and his style in the Arabic writings because he preserves the Arabic language and their style, rhetoric , and authentic of structure and straighter of his words, and about the topics of his articles are many and varied , although dominated by the defense of the Islamic faith and Arabic language.

Key word: the article ,the literary article, Mustafa sadik e-raffia ,the method ,the characteristics